مقاصد هجرة إبراهيم -عليه السلام- إلى أرض الميعاد والأرض المباركة بين التوراة والقرآن والتاريخ

دراسة تحليلية مقارنة

الدكتور: علاء صالح هيلات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد والأرض المباركة من خلال النصوص التوراتية والآيات القرآنية، وتقارن فيما بينها بعد تحليل مضمونها وأهدافها، وتبين علاقة هجرة إبراهيم عليه السلام بالعقائد الكبرى في الديانة اليهودية، وتبين علاقة هذه الهجرة بالأسس الإسلامية وجذور الديانة الإسلامية وارتباطها بإبراهيم وبنيه عليهم السلام، وتبين موطن الاتفاق بين دين إبراهيم عليه السلام ودين شعوب منطقة أرض كنعان وسوريا الطبيعية القديمة، وتستخدم المنهج التاريخي في إثبات علاقة إبراهيم عليه السلام

بالمسجد الأقصى المبارك وأن إعادة بناءه كانت مقصدا من أهم مقاصد هجرته إلى أرض فلسطين وأهم الأدلة التوراتية التي أيدت هذا المقصد، وتبين ذكر القرآن الكريم لهجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض مكة وأسباب سكوت كتبة التوراة عن هذه الهجرة ، وتبين المواطن التي تم فيها تحريف نصوص التوراة تحريفا قصديا للوصول إلى مقاصد معتبرة ومهمة من الناحية الدينية في بناء النص التوراتي وأثرت على المعتقد اليهودي بشكل عام.

Summary

This study examines the aims of the migration of Abraham to the Promised Land and the blessed land through torah texts and Quranic verses and compares them after analyzing their content and objectives. The relationship of Abraham's migration to the great doctrines of the Jewish religion shows the relation of this migration to the Islamic foundations and the roots of the Islamic religion And the link between Abraham and his sons peace be upon them, and shows the place of agreement between the religion of Abraham peace be upon him and the religion of the peoples of the land area of Canaan and ancient natural Syria, and uses the historical approach to prove the relationship of Abraham peace be upon him, It was one of the most important purposes of his emigration to the land of Palestine and the most important biblical evidence that supported this purpose. The Quran mentions the migration of Abraham to the land of Mecca and the reasons of the biblical writers' silence about this migration. The citizen shows that the Torah texts were deliberately distorted, Considered religiously important in building the biblical text and influenced the Jewish belief in general.

تمهيد:

احتلت إن حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى أرض الميعاد والأرض المباركة تحتل مكانة مركزية ومحورية في العقيدة الدينية اليهودية وفي العقيدة الإسلامية، ومن خلالها تم التأسيس للعقائد والأفكار الدينية الأساسية في الفكر الديني اليهودي، ومن خلالها تم توضيح الارتباط الوثيق بين دعوة إبراهيم عليه السلام والدعوة الإسلامية.

فقد بذل كتبة التوراة قصارى جهدهم في تجسيد العقائد الدينية الأساسية التي بنيت عليها الديانة اليهودية من خلال حديثهم عن إبراهيم عليه السلام وهجرته الى أرض الميعاد وما تبعها من أحداث مهمة مرتبطة بهذه العقائد، وتم ترتيبها وصياغتها بمنهجية توحي للقارئ أن هذه العقائد ما هي إلا نتائج لتلك المقدمات التي تضمنتها أحداث حياة إبراهيم عليه السلام، وقد وصل ربط اليهود بين هجرة إبراهيم عليه السلام والأرض التي هاجر اليها إلى أعلى مستوياته من خلال إطلاق اليهود على هذه الأرض "أرض الميعاد" بسبب الوعود المتعددة التي تلقاها إبراهيم عليه السلام فيها بعد هجرته وأصبحت أرض الميعاد قضية محورية ومركزية في الفكر الديني اليهودي.

بينما أطلق عليها الخطاب القرآني " الأرض المباركة " وقد بين القرآن الكريم جوانب الصلة الوثيقة بدعوة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة بالعقائد والعبادات التي دعا اليها الإسلام وأمر بالإيمان بها وأدائها، وبين بعضاً من وجوه التحريف العقدي الذي طال حياة إبراهيم عليه السلام والدين الذي دعا اليه رداً على افتراءات اليهود بحقه.

وإن حياة إبراهيم عليه السلام مليئة بالأحداث التي تستحق الدراسة وإعادة المراجعة والتحقيق، سواء في التوراة أو في القرآن الكريم، في اتجاهات متعددة من اتجاهات البحث العلمي، ومن أهم هذه الاتجاهات هو الاتجاه المقاصدي،

لما لهذا الاتجاه من أهمية بالغة، حيث أسست النصوص التوراتية والآيات القرآنية التي تحدثت عن حياة إبراهيم عليه السلام وعلى وجه الخصوص هجرته إلى الأرض المباركة عددا من المقاصد الدينية والعقدية المهمة، التي أثرت تأثيرا واضحاً في البناء الديني لكل من اليهودية والإسلام.

وبعد اطلاعي على عدد من الدراسات والمؤلفات التي بحثت في حياة إبراهيم عليه السلام ونبوته وتاريخه وتاريخ دعوته الدينية وجدت أن هذه الدراسات درست حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته من خلال المنهج الوصفي أو التاريخي أو المقارنة النصية الظاهرية، ولم تبحث في المقاصد التي تأسست من خلال حياة إبراهيم عليه السلام ودعوته وهجرته إلى الأرض المباركة، ولم أجد – فيما اطلعت عليه – دراسة أفردت هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة وما ارتبط بها من أحداث مهمة بدراسة مستقلة تتناول مقاصدها وأهدافها وغاياتها، وقارنت بين ما ورد في مدونة التوراة وما ورد في القرآن الكريم حول هذه الهجرة المهمة، والتي تثري هذا الجانب المقاصدي المرتبط بهذا الحدث العظيم في حياته عليه السلام.

ونظرا لهذه الأهمية التي تحتلها حياة إبراهيم عليه السلام في الفكر اليهودي والفكر الإسلامي ونظرا لوقوع مدونة التوراة في إشكالات كبرى في حديثها عن إبراهيم عليه السلام وهجرته والتي تحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق ودراسة ومقارنة بما ورد في القرآن الكريم، ولأن عدداً من الباحثين في الفكر الإسلامي غابت عنهم بعض التفاصيل الدقيقة التي تساهم في حل كثير من الإشكالات والتساؤلات التي احتوتها الأحداث الكبرى في حياة إبراهيم عليه السلام أثناء دراستهم لحياته، آثرت الكتابة في هذا الموضوع وإعادة دراسته بمنهجية تحليلية مقاصدية مقارنة بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم، وتوضيحا لبعض الجوانب العقدية المهمة التي غابت من بين نصوص التوراة والتي

سأسعى لاستنتاجها من خلال التدبر في نصوص القرآن الكريم والتوفيق بينه وبين بعض التحليلات والأدلة التاريخية.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة بالنقاط الآتية:

أولا: تركيزها على هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام وما ارتبط بها من أحداث مهمة وعلى المقاصد الدينية التي تأسست من خلال هذه الهجرة والأحداث التابعة لها.

ثانيا: مقارنتها بين مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام بين التوراة والقرآن الكريم والبحث عن جوانب التحريف القصدي التي طالت هجرة إبراهيم ومقاصدها في التوراة.

ثالثا: اكتشافها لأصول العقائد اليهودية الأساسية وارتباطها بهجرة إبراهيم عليه السلام.

رابعا: تحليلها لعلاقة إبراهيم عليه السلام بالإله الذي كانت تعبده شعوب منطقة الأرض المباركة.

خامسا: تحليلها لعلاقة إبراهيم عليه السلام وذريته بالمسجد الأقصى والكعبة المشرفة والدين الإسلامي.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

أولا: استنباط المقاصد التي تأسست من خلال النصوص التوراتية والآيات القرآنية في حديثها عن هجرة إبراهيم عليه السلام والوعي بالمقاصد الحقيقية لهجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة من خلال مفهوم الهيمنة القرآنية على الكتب المقدسة السابقة.

ثانيا: الوعي بمواطن التحريف القصدي في البناء النصي التوراتي الذي تضمن الحديث عن إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة وأهم الاحداث التي تبعت هذه الهجرة.

ثالثا: فهم الاختلافات التي وقعت بين النص التوراتي والآي القرآني من خلال المقارنة بينهما على مستوى المقاصد المتعلقة بهجرة إبراهيم عليه السلام ومآلاتها الدينية.

رابعا: تعميق الفهم لصلة إبراهيم عليه السلام ونبوته ودعوته وهجرته إلى الأرض المباركة بالدين الإسلامي.

خامسا: التأسيس لرؤية تحليلية تاريخية تظهر علاقة إبراهيم عليه السلام بالمسجد الأقصى والديانة السائدة للشعوب التي كانت تسكن حوله وفي أرضه.

إشكاليات الدراسة واسئلتها

تسعى هذه الدراسة لحل الإشكاليات والإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولا: ما هي المقاصد التي سعى كتبة التوراة لإثباتها وتأسيسها من خلال حديثهم عن هجرة إبراهيم وعلاقتها بالبناء العقدي للديانة اليهودية؟

ثانيا: ما هي المقاصد التي بينها القرآن الكريم في حديثه عن إبراهيم عليه السلام ودعوته في الأرض المباركة وعلاقتها بالعقيدة الإسلامية؟

ثالثا: ما هي أهم الأحداث المتعلقة بدعوة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة التي انفرد القرآن بذكرها في حين غيبتها التوراة؟ وأسباب ومقاصد هذا الحذف أو التغييب.

رابعا: لماذا رفض أهل العراق دعوة إبراهيم عليه وعادوه لأجلها فهجر أرضهم، في حين استقبله أهل كنعان وقبلوا دعوته ورضوا بمقامه عندهم، وما هي علاقته بدينهم الذي كانوا يؤمنون به؟

خامسا: هل من علاقة بين هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان والمسجد الأقصى؟

سادسا: ما هي أهم مواطن الاتفاق والافتراق بين مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام في التوراة والقرآن الكريم؟

المناهج المتبعة في هذه الدراسة

لقد اتبعت في هذه الدراسة أربعة مناهج وهي:

أولا: المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء النصوص التي تحدثت عن هجرة إبراهيم عليه السلام في التوراة وتحديدا في سفر التكوين وذلك اعتمادا على ترجمة عربية للتوراة، بالتوافق مع التأكد من مضمون النصوص وتوفقها مع أصلها العبري، واستقراء آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن دعوة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة ومقاصد هذه الهجرة.

ثانيا: المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك من خلال تحليل هذه النصوص التي قمت باستقرائها والعمل على تحليلها واستنباط المقاصد التي تضمنتها والتي تبين أهداف ومقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام سواء من خلال نصوص التوراة أو آيات القرآن الكريم.

ثالثا: المنهج المقارن: وذلك من خلال مقارنة ما تضمنته نصوص التوراة وآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد والأرض المباركة وتوضيح أهم مواطن الاتفاق والافتراق فيما بينها والأهداف والمقاصد الناتجة عن هذه المواطن المتفقة أو المفترقة.

رابعا: المنهج التاريخي: وذلك من خلال استصحاب أهم القضايا التاريخية المرتبطة بهجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة وتوظيف تاريخ الفكر الديني في منطقة سوريا القديمة ومنطقة الجزيرة العربية لأجل الوصل إلى رؤية

جديدة تحدد مقاصد تاريخية دينية متعلقة بهجرة إبراهيم إلى الأرض المباركة وتؤكد علاقته وعلاقة ذريته بالمسجد الأقصى المبارك.

وقمت بتوظيف هذه المناهج العلمية في حل الإشكاليات التي حددتها لهذا البحث وهذه الدراسة، وتحقيقا لأهدافها المرجوة، قمت بتقسيم مباحثه إلى ثلاثة مباحث وخاتمة وهي:

المبحث الأول: مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد في التوراة

المبحث الثاني: مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: رؤية تحليلية تاريخية في مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة.

المسألة الأولى: الكنعانيون وعبادة الإله إيل

المسألة الثانية: علاقة إبراهيم عليه السلام بالمسجد الأقصى وإعادة بناء ذريته له

الخاتمة وأهم النتائج

المبحث الأول:

مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد في التوراة

تحدثت التوراة عن إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى أرض الميعاد في سفر التكوين السفر الأول من أسفار التوراة والعهد القديم، الذي دونه كتبة التوراة لمقصدين أساسيين وهما: تكوين العالم وتكوين شعب إسرائيل من خلاله، واستغرق حديث سفر التكوين عن إبراهيم عليه السلام خمسة عشر إصحاحا من الإصحاح الحادي عشر إلى الإصحاح الخامس والعشرين، بدأت بالحديث عن نسبه وانتهت بالحديث عن وفاته ودفنه في أرض كنعان، وتناولت هذه الإصحاحات عددا من الموضوعات في حياة إبراهيم عليه السلام، من أهمها

هجرته إلى أرض الميعاد ومقاصد هذه الهجرة حسب نظرة مدوني التوراة ، وتنقلات إبراهيم عليه السلام بين أرض حاران وأرض كنعان وأرض مصر، وعلاقة إبراهيم عليه السلام بإلهه ومضمون خطابه له أثناء هجرته وأثناء إقامته في أرض كنعان، وتكوين نسل إبراهيم عليه السلام ودور نسله في تكوين الشعب الإسرائيلي، وأهم الوعود الإلهية لنسله، وعلاقة إبراهيم عليه السلام بأهل منطقة كنعان وما حولها، وتضمنت كذلك أهم الأحداث في حياته وفي حياة نبي الله لوط عليه السلام ابن أخيه هاران.

وسأتحدث في هذا المبحث عن النصوص التي تضمنت مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد حصرا، وذلك لأن الحديث عن مضمون حياة إبراهيم عليه السلام في سفر التكوين يحتاج بحثا مستقلا ومطولا، ولأن مقاصد هذه الهجرة أثرت في عموم أحداث حياته وفي سياق النصوص التي تحدثت عنها، وأثرت كذلك في البناء الديني لليهود سواء في عقيدتهم بإبراهيم عليه السلام أو في الأسس التي بني عليه المعتقد اليهودي عموما.

ولأن هذه النصوص المتعلقة بهجرة إبراهيم عليه السلام مليئة بمواطن التحريف القصدي الذي مارسه كتبة التوراة على النص التوراتي وهذه المواطن هي التي ساهمت في صياغة وتشكيل المعتقد اليهودي بمقدمات بناء الشعب الإسرائيلي كأمة خاصة وشعب مختار وأحقيتهم بأرض كنعان –أرض الميعاد–، وهي التي تدل الدارس المدقق على كيفية تصرف الكتبة في صياغة النص التوراتي فيما يتوافق مع عقائدهم وأفكارهم بطريقة منهجية تعتمد على وضع النتائج بشكل مسبق ثم بناء مقدماتها في النص التوراتي بين أهم الاحداث التي احتوتها وخصوصا في حياة إبراهيم عليه السلام .

وبعد أن قمت باستقراء النصوص التي تحدثت عن هجرة إبراهيم عليه السلام في التوراة وما تعلق بها من أحداث مهمة وجدت أنها تركز على خمسة مقاصد أساسية وهي:

المقصد الأول: تكوين نسل إبراهيم عليه السلام من ابنه إسحق وخصوصية العهد الإلهي وميراث إبراهيم به وبذريته

أول ما بدأ به سفر التكوين في حديثه عن إبراهيم عليه السلام تحدث عن نسبه ثم تحدث مباشرة عن هجرته من أرض أور الكلدانيين إلى أرض حاران ومنها إلى أرض كنعان، وأن هذه الهجرة كانت بسبب والده تارح في بدايتها ولم تكن بسبب إبراهيم عليه السلام فيقول كتبة السفر: (**31وَأَخَذَ تَارَحُ ابْنَهُ أَبْرَامَ وَحَفِيدَهُ لُوطاً بْنَ هَارَانَ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ زَوْجَةَ ابْنِهِ أَبْرَامَ، وَارْتَحَلَ بِهِمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ 32 لَكِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى حَارَانَ وَاسْتَقَرُّوا فِيهَا. وَهُنَاكَ مَاتَ تَارَحُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ مِئَتَانِ وَخَمْسُ سِنِينَ.**)[1]

ثم يخاطبه الرب وهو في أرض حاران ويأمره بالهجرة إلى الأرض التي سيريه إياها –وهي أرض كنعان– ويذكر الكتبة المقصد الأول لهذا الأمر الإلهي الذي سيحدث بسبب هجرته وهو أن يتكون نسله في أرض كنعان ويصبح نسله أمة كبيرة فيقول كتبة السفر: (**وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، 2 فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً**)،[2] وذكر الكتبة في نص آخر قول الرب لإبراهيم : (**... وَسَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُحْصِيَ تُرَابَ الأَرْضِ يَقْدِرُ آنَئِذٍ أَنْ يُحْصِيَ نَسْلَكَ**)،[3] وقولهم (... **انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَكُونُ**

1 – سفر التكوين 11: 31

2 – سفر التكوين 12: 1

3 – سفر التكوين 13: 16

نَسْلُكَ». 6فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسَبَهُ لَهُ بِرّاً)،[1] وذكر كتبة السفر أن إبراهيم عليه السلام لما بلغ التاسعة والتسعين من عمره خاطبه الرب وقال له: **(... أَنَا هُوَ اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، 2فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأُكَثِّرَ نَسْلَكَ جِدّاً». 3فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ اللهُ قَائِلاً: 4«هَا أَنَا أَقْطَعُ لَكَ عَهْدِي، فَتَكُونُ أَباً لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ. 5وَلَنْ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ الآنَ أَبْرَامَ (وَمَعْنَاهُ الأَبُ الرَّفِيعُ) بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ (وَمَعْنَاهُ أَبٌ لِجُمْهُورٍ) لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَباً لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ؛ 6وَأُصَيِّرُكَ مُثْمِراً جِدّاً، وَأَجْعَلُ أُمَماً تَتَفَرَّعُ مِنْكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. 7وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ).** [2]

لقد جعل كتبة سفر التكوين المقصد الأول لهجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد تكوين نسل إبراهيم عليه السلام فيها، وأن نسله سيصبح أمة كبيرة وأنه سيصبح أبا لجمهور من الأمم من خلال هذا النسل، وأن هذا النسل سيرتبط بالعهد الإلهي لإبراهيم وبنيه، وهذا المقصد يدل على أن توجه كتبة سفر التكوين أثناء حديثهم عن هجرة إبراهيم عليه السلام كان يركز على تكوين الشعب الإسرائيلي من نسل إسحق بن إبراهيم عليه السلام وليس من نسل إسماعيل وإثبات أن هذا النسل تكون ونشأ في أرض الميعاد بعد وصول إبراهيم إليها.

فيحدثنا سفر التكوين أن نسل إبراهيم عليه السلام كان من زوجتين الأولى هاجر والثانية ساره وقد يعتقد قارئ السفر أن الكتبة أرادوا اثبات تكوين نسل إبراهيم من خلال هاتين الزوجتين إلا أن سياق الحديث والأحداث يدل على عكس ذلك فقد ذكر الكتبة أن إبراهيم عليه السلام تزوج بهاجر جارية سارة وأنجبت له إسماعيل وعندما كبر إسماعيل تطلب سارة من إبراهيم ان يطرد

1 - سفر التكوين 15: 1 – 6

2 - سفر التكوين 17: 1 – 7

جاريتها هاجر وابنها إسماعيل فيقبح هذا الطلب في نفس إبراهيم إلا أن الرب يخاطبه فيقول له : (... **لاَ يَسُوءُ فِي نَفْسِكَ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ، وَاسْمَعْ لِكَلاَمِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. 13وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ)**. [1]

وهذا الأمر يدل بكل وضوح وصراحة على أن كتبة السفر يؤكدون أن نسل إبراهيم المعتبر سيكون فقط من إسحق وحده وليس منه ومن إسماعيل، ثم يؤكد الكتبة هذا المقصد في موضعين آخرين الأول: بعد بشارة الرب لإبراهيم بأن سارة ستلد له ولدا وسيسميه إسحق بعد أن كبرت في العمر وفارقت وقت الإنجاب عند النساء بمدة طويلة، وبعد أن تلقى إبراهيم البشارة يطلب من الله تعالى أن يحيى إسماعيل في رعايته إلا أن الرب لا يقبل هذا الطلب ويخبره بأن الابن الذي ستلده ساره هو الذي سيقيم الرب معه عهده ومع ذريته إلى الأبد وليس إسماعيل، أي أن إسماعيل لن يحيى برعاية الله تعالى حسب مفهوم سياق النص فيقول الكتبة : **(وَقَال الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُكَ فَلاَ تَدْعُوهَا سَارَايَ بَعْدَ الآنَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُهَا سَارَةَ (وَمَعْنَاهُ أَمِيرةٌ). 16وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْناً مِنْهَا. سَأُبَارِكُهَا وَأَجْعَلُهَا أُمّاً لِشُعُوبٍ، وَمِنْهَا يَتَحَدَّرُ مُلُوكُ أُمَمٍ». 17فَانْطَرَحَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ قَائِلاً فِي نَفْسِهِ: «أَيُوْلَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ؟ وَهَلْ تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهَا؟18وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَحْيَا فِي رِعَايَتِكَ». 19فَأَجَابَ الرَّبُّ: «إِنَّ سَارَةَ زَوْجَتَكَ هِيَ الَّتِي تَلِدُ لَكَ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحقَ (وَمَعْنَاهُ يَضْحَكُ). وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ وَمَعَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَهْداً أَبَدِيّاً. 20أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً،**

1 – سفر التكوين 21: 12

وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً. 21غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ». 22وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مُحَادَثَتِهِ فَارَقَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ). [1]

وهذا النص يدل على أن الابن المعتبر عند الله تعالى من أولاد إبراهيم هو إسحق لأنه قال له: " إن سارة هي التي تلد لك ابنا" ويدل على أن العهد الإلهي لن يكون إلا في نسل إسحق بن إبراهيم عليهما السلام وتم حذف إسماعيل من الاحقية بهذا العهد بل وأشار الكتبة إلى أن وصف البنوة لا يصدق على إسماعيل بالنسبة لإبراهيم وانما يصدق على إسحق وحده، فهنا أزالوا عن إسماعيل وصفين الأول: وصف البنوة المعتبرة، والثاني: وصف العهد الإلهي وهذا العهد يتضمن انتقال الدين وميراث أرض الميعاد فيكون انتقال دين إبراهيم في نسل إسحق وحده وميراث الأرض المباركة لنسل إسحق وحده، ويخرج منه إسماعيل وذريته، وأشار كتبة النص إلى أن ولادة إسماعيل بالنسبة لأبيه إبراهيم لا تتعلق إلا باستجابة الرب لدعاء إبراهيم بأن يهبه الولد ولكنه لا حظ له بالعهد الإلهي أو بالبنوة المعتبرة.

وأما الموضع الثاني فهو أثناء حديثهم عن قصة الذبيح فقالوا: **(وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، فَنَادَاهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَهُ: «لَبَّيْكَ». 2فَقَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ)** [2] فقولهم خذ ابنك وحيدك يدل على أنهم يعتبرون إسحق هو ابن إبراهيم فقط، حيث تم حذف إسماعيل بصورة قصدية لإثبات تكوين نسل إبراهيم من نسل إسحق وحده.

---

1 - سفر التكوين 17: 15 – 21

2 - سفر التكوين 22: 1

ثم يؤكدون هذا المقصد بعد أن اطاع إبراهيم أمر الله بأخذ ابنه وحيده اسحق وأراد تقديمه محرقة للرب بقولهم: **(وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً: 16وَقَالَ: «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، 17لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شاطئ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا).** [1]

ويختم كتبة السفر حديثهم عن إبراهيم عليه السلام بالحديث عن وفاته لكنهم قبل ذكر وفاته يتحدثون عن زواج إبراهيم عليه السلام من امرأة اسمها قطورة بعد وفاة ساره وكيف أنه اعطى أبناءها عطايا ثم صرفهم من الأرض المباركة عن إسحق حيث يبقى وحده في الأرض المباركة فيقولون: **(وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً تُدْعَى قَطُورَةَ، 2فَأَنْجَبَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحاً. 3وَأَنْجَب يَقْشَانُ شَبَا وَدَدَانَ. أَمَّا أَبْنَاءُ دَدَانَ فَهُمْ: أَشُّورِيمُ وَلَطُوشِيمُ وَلأُمِّيمُ. 4وَأَبْنَاءُ مِدْيَانَ هُمْ: عَيْفَةُ وَعِفْرُ وَحَنُوكُ وَأَبِيدَاعُ، وَأَلْدَعَةُ. وَهَؤُلاَءِ جَمِيعاً مِنْ ذُرِّيَّةِ قَطُورَةَ. 5وَوَرَّثَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحقَ كُلَّ مَالَهُ. 6أَمَّا أَبْنَاؤُهُ مِنْ سَرَارِيهِ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ نَحْوَ أَرْضِ الْمَشْرِقِ بَعِيداً عَنْ إِسْحقَ ابْنِهِ)** [2]

وهذا الأمر يؤكد بكل وضوح قصدية الكتبة في تثبيت نسل إبراهيم من فرع إسحق وحده وأنه وحده الذي سيرث أرض الميعاد ويرث دين إبراهيم ويرث العهد الإلهي وأما باقي أبنائه فلا يدخلون في هذه الامتيازات، والحقيقة أن كتبة سفر التكوين هم من صرفوهم من خلال تثبيت هذا النص في المعتقد اليهودي لمتبعي التوراة ومعتنقيها.

---

1 - سفر التكوين 22: 15

2 - سفر التكوين 25: 1 – 6

المقصد الثاني: حلول البركة الإلهية على إبراهيم عليه السلام ووجوب تبعية الأمم له بسبب هذه البركة

لقد جعل كتبة سفر التكوين حصول إبراهيم عليه السلام على البركة الإلهية وحلولها فيه وفي بنيه وفي كل من يتبعه سبباً ومقصداً لهجرته من أرض العراق إلى الأرض المباركة، وكأن كلام الكتبة يفيد بأن ابراهيم قبل هجرته لم تكن بركة الله معه وأن هذه البركة لا يمكن أن تتحقق في إبراهيم ونسله إلا بعد هجرته إلى الأرض المباركة فجعل الكتبة هجرة إبراهيم اليها شرطا لتحقق البركة في حياته وفي حياة من يتبعه من الناس.

يقول كتبة السفر: **(وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، 2فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً (لِكَثِيرِينَ). 3وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَأَلْعَنُ لاعِنِيكَ، وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ». 4فَارْتَحَلَ أَبْرَامُ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَرَافَقَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ فِي الْخَامِسَةِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ حَارَانَ. 5وَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ زَوْجَتَهُ وَلُوطاً ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مَا جَمَعَاهُ مِنْ مُقْتَنَيَاتٍ وَكُلَّ مَا امْتَلَكَاهُ مِنْ نُفُوسٍ فِي حَارَانَ، وَانْطَلَقُوا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَنْ وَصَلُوهَا).** [1]

وذكر كتبة السفر في قصة هلاك سدوم وعمورة أن الرب أراد أن يخبر إبراهيم بما سيفعله بقرى سدوم وعمورة فقال: **(ثُمَّ نَهَضَ الرِّجَالُ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. فَمَشَى إِبْرَاهِيمُ مَعَهُمْ لِيُوَدِّعَهُمْ. 17فَقَالَ الرَّبُّ: «أَأَكْتُمُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ؟ 18وَإِبْرَاهِيمُ لابُدَّ أَنْ يُصْبِحَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَبِهِ تَتَبَارَكُ شُعُوبُ الأَرْضِ جَمِيعاً، 19لأَنَّنِي قَدِ اخْتَرْتُهُ لِيُوْصِيَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَيْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، عَامِلِينَ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ، حَتَّى يُنْجِزَ الرَّبُّ مَا وَعَدَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ).** [2]

---

1 - سفر التكوين 12: 1 – 5

2 - سفر التكوين 18: 16

وفي قصة الذبيح يذكر الكتبة قولهم: (**... وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً: 16وَقَالَ: «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، 17لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شاطئ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. 18وَيِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، لأَنَّكَ أَطَعْتَنِي**) [1]

ولو عدنا الى النصوص التي ورد فيها الحديث عن البركة الإلهية في سفر التكوين سنلاحظ أن كتبة سفر التكوين أرادوا اثبات ثلاث دلالات عقدية أساسية من خلال منهجيتهم في صياغة النصوص المتحدثة عن البركة الإلهية والتعبير عنها في سياق السفر.

الدلالة الأولى: اختصاص البركة الإلهية بشعب إسرائيل

حيث ساق الكتبة النصوص التي تحدثت عن البركة الإلهية بصورة منهجية انتقائية بدأت بإثبات البركة الإلهية لآدم عليه السلام : ***(هذا سجل بمواليد آدم يوم خلق الله الإنسان صنعه الله على مثاله وقد خلقه ذكرا وأنثى ويوم خلقه باركه وسماه آدم)*** ،[2] ثم من نسل آدم أثبتوا البركة الإلهية لنوح عليه السلام : ***(وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم: «أنموا واكثُروا واملأوا الأرض)*** [3] ومن أبناء نوح أثبتوا البركة لسام ***«لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ الْعَبِيدِ لإِخْوَتِهِ». 26ثُمَّ قَالَ: «تَبَارَكَ اللهُ إِلَه سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ*** [4]) وأثبتوا في هذا النص أن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ملعونا لأنه سيصبح أب الكنعانيين فتصبح بالتالي كل قبائل كنعان قبائل ملعونة في المقابل يكون نسل سام نسلا مباركا،

---

1 – سفر التكوين 22: 15

2 – سفر التكوين 5: 1

3 – سفر التكوين 9: 1.

4 – سفر التكوين 9: 18 – 28.

ومن نسل سام أثبتوا البركة لإبراهيم عليه السلام في النصوص التي ذكرتها سابقا، ومن أولاد إبراهيم عليه السلام أثبتوا البركة لإسحق ومن خلالها أثبتوا له العهد الإلهي مقابل إخراج إسماعيل وبنيه من هذا العهد: ***(.... وصَعِدَ إسحَقُ مِنْ هُناكَ إلى بئرَ سَبْعَ، 24فتراءى لَه الرّبُّ في تلِكَ اللَّيلةِ وقالَ لَه: «أنا إلهُ إبراهيمَ أبيكَ. لا تَخفْ، فأنا مَعكَ وأُبارِكُك وأُكثِّر نسلَكَ مِنْ أجلِ عبدي إبراهيمَ).*** [1] ثم أثبتوا البركة ليعقوب عليه السلام وتم إخراج أخيه عيسو بن إسحق من هذه البركة، ***(فدعا إسحَقُ ابنَهُ يعقوبَ ويارَكَهُ وأوصاهُ، فقالَ: «لا تأخذِ امرأةً مِنْ بَناتِ كنعانَ. 2قُمِ اذهبْ شَمالاً إلى سَهلِ آرامَ، إلى بَيتِ بتوئيلَ أبي أُمِّكَ، وتزوَّج بامرأةٍ مِنْ هُناكَ، مِنْ بَناتِ لابانَ أخي أُمِّكَ، 3فيُبارِكَكَ اللهُ القديرُ ويُنميَكَ ويُكثِّرَك وتكونَ عِدَّةَ شعوبٍ. 4ويُعطيَكَ بركَةَ إبراهيمَ، لَكَ ولِنسلِكَ مِنْ بَعدِكَ، لِتَرِثَ أرضَ غُربَتِكَ التي وهَبَها اللهُ لإبراهيمَ».*** [2] ثم أثبتوا البركة لكل أبناء يعقوب الذين سيتكون من نسلهم قبائل بني إسرائيل، ولكنهم خصوا البركة بواحد من أبنائه وهو يهوذا لأنهم سينتسبون له بعد فترة من الزمن وسيصبح من نسله ملوك دولة يهوذا في أرض فلسطين بعد أن دخلوها بعد وفاة موسى عليه السلام، (***يهوذا يَحمَدُك إخوَتُكَ، يَدُكَ على رِقابِ أعدائِكَ. يسجدُ لكَ بَنو أبيكَ. 9يهوذا شِبْلُ أسَدٍ. مِنَ الأطرافِ صَعِدْتَ يا ابني، كأسدٍ يَركَعُ ويَربِضُ وكَلَبوةٍ، فمَنْ يُقيمُه؟ 10لا يزولُ الصَّولجانُ مِنْ يَهوذا ولا عصا السُّلطانِ مِنْ صُلْبِهِ، إلى أنْ يتَبوَّأَ في شيلُوه مَنْ لَه طاعةُ الشُّعوبِ)*** [3] وجاء هذا النص في سياق الحديث عن بركة يعقوب لبنيه قبل موته .

---

1 - سفر التكوين 26: 23

2 - سفر التكوين 28: 1 - 22

3 - سفر التكوين 49: 8

فهذه المنهجية في ترتيب النصوص التي تحدثت عن البركة الإلهية في سفر التكوين تدل على أن توجه الكتبة كان مركزا حول إثبات البركة لبني إسرائيل وحدهم وإخراج جميع أبناء إبراهيم عليه السلام منها ومن خلال إثبات البركة الإلهية لأنفسهم ظهرت عقيدة الشعب المختار وكأنهم برروا اختيار الإله لهم بسبب مباركته لهم مقابل لعنه لباقي الشعوب.

فكتبة التوراة يضعون القارئ في تاريخ البشرية ثم يستخلصون منه تاريخ عشيرة إسرائيل ويبين الكاتب من خلال حديثه عن تاريخ العالم كيف تشق البركة طريقها بفضل اصطفاء الإله لشعب خاص به وهو شعب بني إسرائيل الذي قدر له أن يحمل هذه البركة لأفراده هو دون أفراد الشعوب الأخرى لهذا استحق الوعد بالأرض من دونها. [1]

الدلالة الثانية: حلول البركة الإلهية في شعب إسرائيل في أرض الميعاد

حيث ارتبط مفهوم البركة الإلهية للشعب الإسرائيلي بالأرض المباركة وجعلوا حلول البركة الإلهية التي تقتضي اختصاصهم بالاختيار الإلهي والسيادة على أمم الأرض لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال وجودهم في أرض الميعاد فجعلوا المقصد الأساسي من وراء هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان من أرض العراق حلول البركة الإلهية عليه وعلى بنيه من بعده من نسل يعقوب بن اسحق، فإن فكرهم الديني ينص على أن الله اصطفى من البشر الشعب الإسرائيلي فباركه واصطفى من الأرض أرض كنعان فباركها فلا يمكن أن تتحقق البركة الإلهية في الأرض إلا بحلول الشعب المبارك في أرضه المباركة الموعودة الخاصة به .

---

1 – مبارك، صفوت حامد– قراءة في العهد القديم – دار الطباعة المحمدية –القاهرة – ط 1– 1987 م – ص 53.

يقول الحبر اليهودي يهوذا هاليفي: " وأولد آدم اولادا كثيرة ولا يصلح منهم ليكون خليفة آدم غير هابيل لأنه كان يشبهه ولما قتله قايين أخوه غيرة على هذه الرتبة عوض " بشيت " الشبيه بآدم فكان صفوة ولبابا وغيره كالقشور والحشف، وصفوة شيت "أنوش" وكذلك اتصل الأمر إلى نوح بأفراد كانوا لبابا يشبهون آدم ويتسمون بأبناء الله لهم الكمال في الخلق والأخلاق وطول الأعمار والعلوم والقدرة، وبأعمارهم هو التاريخ من آدم إلى نوح وكذلك من نوح إلى إبراهيم وربما كان فيهم من لم يتصل به الأمر الإلهي مثل تارح – أبو إبراهيم – لكن كان ابراهيم ابنه تلميذا لجده عابر وأدرك نوح بعينه وصار الأمر الإلهي متصلا من الأجداد إلى الأحفاد فإبراهيم صفوة عابر وتلميذه وكذلك تسمى عبرانيا وعابر صفوة شيت وسام صفوة نوح لأنه وارث الأقاليم المعتدلة التي وسطها ونكتتها الشام أرض النبوة وخرج يافث إلى الشمال وحام إلى الجنوب وصفوة إبراهيم من جميع بنيه إسحق وقد أبعد جميع أولاده من هذه الأرض الخاصة ليختص لإسحق وصفوة إسحق يعقوب واندفع أخوه عيسوا إذ استحق يعقوب تلك الأرض وأولاد يعقوب كلهم صفوة صلح جميعهم للأمر الإلهي فصلح لهم ذلك الموضع الخاص بالأمر الإلهي – أرض فلسطين – وهذا ابتداء حلول الامر الإلهي في جماعة بعد أن كان لا يوجد إلا في أفراد" . [1]

ويقول يهوذا هاليفي : " إن وعود الديانات الأخرى في الآجل أما وعود اليهودية فإنها في العاجل الأولى في الاخرة والثانية في الدينا كما لا تخلو الوعود اليهودية من مشاهدة الملكوت فالاتصال بالأمر الإلهي عن طريق النبوة وليس عن طريق الموت ويكافأ الابرار بالحضرة الإلهية والبقاء في الأرض– أرض

1 – هليفي، يهودا بن شموئيل– الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمة: ليلى إبراهيم أبو المجد – مراجعة: حسن حنفي، احمد هويدي – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط 1 – 2014 – ص 151.

الميعاد – والخلافة فيها تحقيقا للميعاد بل إن تحقيق الوعد هو أساس يقين الشريعة فالبرهان عياني مرئي مشاهد" .[1]

وعندما نجد أن الذين كتبوا صيغة هذا الوعد الإلهي في التوراة ، الناتج عن طريق البركة، قد عاشوا في فترة بعيدة عن الأحداث التي تضمنت قضية الوعد والبركة الإلهية؛ من ألف إلى خمسمائة عام على الأقل عن الأحداث التي تحدثوا عنها فإنهم أرادوا بذلك في عصر سليمان –عليه السلام– وما بعده، أن يعطوا تفسيراً تاريخياً مقدساً إلهياً لسبب تجمع قبائل بني إسرائيل في منطقة كنعان، بعد أن حدث جزء لا بأس به من هذا التجمع، فصوروا الوعود القديمة التي كتبوها على أنها وعود قد تحققت الآن – في عصرهم – وأصبحت هذه الوعود بما فيها البركة الإلهية، تجسيداً وتسويغاً للغزو النهائي لفلسطين، وكإعلانٍ وإضفاءٍ للشرعية على مملكة داود وسليمان –عليهما السلام– . [2]

الدلالة الثالثة: وجوب تبعية الأمم للشعب الإسرائيلي بسبب البركة الإلهية الممنوحة لهم عن دون أمم الأرض وشعوبها.

إن المفهوم اليهودي لتفسير البركة الإلهية الخاصة للشعب الإسرائيلي والممنوحة لإبراهيم عليه السلام والتي نصت على أن من يباركه يتبارك به ومن لا يتبعه يلعن، تعني وجوب تبعية الأمم لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده من فرع يعقوب بن اسحق عليهما السلام حسب تخصيص البركة بهذا الفرع من

---

1 – نفس المرجع – ص 39.

2 – جارودي، روجيه – الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – دار الغد العربي– القاهرة – ط 7 1996– ص 38 – وراجع ص 35 – 44. – وانظر: سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل –الأردن – ط 1 – 2003م – ص196 وما بعدها، – وانظر: الشهراني، سعد بن محمد – أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي– اليهودية نموذجا–طباعة الفطاني – ط1 – 2005 – ص 28.

أبنائه وحده، وهذه التبعية لا تعني تبعية الدين والمعتقد حسب المفهوم اليهودي وإنما تبعية الخضوع والاعتراف بالقيادة والسيادة لهذا النسل.

حيث يعتقد اليهود أن سبب وجودهم في أصل خلق الإله لهم في هذه الأرض أنهم يمثلون دور الوساطة بين الإله وبين باقي أمم الأرض وأن الأرض ستعيش خللا كونيا كبيرا لا يمكن إصلاحه لتعيش شعوب الأرض واممها بأمان واستقرار إلا بعد أن تتبع هذه الأمم الأمة المباركة وتحل عليه البركة الإلهية بسبب تبعيتها لأمة البركة وأمة العهد.

حيث يعتقد اليهود أن الطمأنينة والسكينة أو " ه شيخيناه " في العبرية غادرت الأرض نتيجة هدم الهيكل ونتيجة تعدي الشعوب والأمم على أبناء الله الشعب المبارك والمختار مما أدى إلى حدوث انفصال بين الإله وشعوب الأرض فحلت في الأرض الكوارث والحروب والصعاب والأمراض بسبب مغادرة السكينة للأرض واتحادها بعالم السماء وأن هذه السكينة لن تعود إلى الأرض وتحل في شعوبها إلا إذا اتبعت هذه الشعوب وخضعت لأبناء الإله وشعبه الخاص المختار وتحققت لهم السيادة فيها وقيادة العالم من الأرض المباركة أرض فلسطين. [1]

وهذه الفكرة أصبحت أساسية في الاتجاه القبالي اليهودي وأثرت في الفكر الديني اليهودي، ويطلق عليها عندهم " التيقون " أي الإصلاح وتعني اصلاح الانفصال ورأب الصدع الذي حدث بين الإله والإنسان نتيجة خطيئة الأكل من

1 – انظر – المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دار الشروق – ط 1 – 1999 م – ج 5 – ص 256، وانظر – معدي، الحسيني – القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم – دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة – ط 1 – 2007 م – ص 91 – 92.

شجرة من المعرفة التي من خلالها بدأ الانسان يميز بين الخير والشر فعرف الخير كما عرف الشر تماما. [1]

المقصد الثالث: توريث إبراهيم عليه السلام ونسله من اسحق ملكية أرض الميعاد

لقد كان توجه كتبة سفر التكوين في حديثهم عن هجرة إبراهيم عليه السلام منذ البدء نحو ربط قضية الهجرة وكل ما حدث فيها وكل مقاصدها بأرض كنعان وحدها وإثبات أن انتقال إبراهيم من أرض العراق إلى أرض كنعان كان لأجل امتلاكها لأنها الأرض التي سيتكون فيها نسله من شعب بني إسرائيل وستشكل عنوانا لحياتهم وعنوانا لأساس عقيدتهم الدينية.

فمنذ الحدث الأول للهجرة نلاحظ هذا الربط بقول الكتبة: **(وَأَخَذَ تَارَحُ ابْنَهُ أَبْرَامَ وَحَفِيدَهُ لُوطاً بْنَ هَارَانَ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ زَوْجَةَ ابْنِهِ أَبْرَامَ، وَارْتَحَلَ بِهِمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ).** [2]

ثم يؤكد الكتبة هذا المقصد منذ اللحظة الأولى لدخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان بقولهم: (... **فَشَرَعَ أَبْرَامُ يَتَنَقَّلُ فِي الأَرْضِ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَوْضِعَ شَكِيمَ إِلَى سَهْلِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ آنَئِذٍ يَقْطُنُونَ تِلْكَ الأَرْضَ. 7وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ).** [3]

وبعد أن تحدث الكتبة عن حادثة الانفصال التي وقعت بين إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام حيث بقي إبراهيم في منطقة جنوب فلسطين وقرر لوط الانتقال منها إلى قرى سدوم وعمورة في منطقة الأردن يؤكد الكتبة هذا المقصد

---

1 – انظر – المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج 5 – ص 262

2 – سفر التكوين 11: 30

3 – سفر التكوين 12: 6

بقولهم: **(وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوباً وَشَرْقاً وَغَرْباً 15لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ. 16وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضاً يُعَدُّ. 17قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا». 18فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ)** [1]

وتتجلى قمة الربط بين إعطاء الرب نسلا لإبراهيم عليه لسلام بعد هجرته وبين إعطاء هذا النسل ملكية أرض فلسطين في سياق حديث كتبة سفر التكوين عن طلب إبراهيم من الرب أن يرزقه نسلا فجعل الكتبة علة وسبب رزقه لهذا النسل تملك أرض كنعان وسيظهر لنا أن المقصود بهذا النسل وهذه الملكية هو إسحق بن إبراهيم عليه السلام وحده وذريته من بعده من نسل يعقوب بسبب تكون شعب إسرائيل منه وذلك في قولهم: **(بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ فِي الرُّؤْيَا: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدّاً». 2فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيماً وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟» 3وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضاً: «إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي». 4فَإِذَا كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ: «لاَ يَرِثُكَ هذَا. بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ». 5ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». 6فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرّاً. <u>7وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكِلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا ....</u> 18فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقاً قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ. 19الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ**

1 - سفر التكوين 13: 14

وَالْقَدْمُونِيِّينَ 20وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ21وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ».) [1]

ثم يؤكد الكتبة هذا المقصد في حديثهم عن العهد الذي قطعة الرب لإبراهيم عليه السلام وتضمن وجوب الختان ونص العهد على عدة قضايا كان من أهمها أن الرب عاهد إبراهيم أن يكون له ولنسله إلها خاصا وأن يملكهم أرض كنعان فقال الكتبة: (... **7وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. 8وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً)**[2]

ثم نجد كتبة سفر التكوين يخصصون ملكية ارض كنعان بإسحق ونسله من أبناء إبراهيم عليه السلام في عدد من النصوص ويخرجون إسماعيل وذريته من هذه الملكية ومن العهد الإلهي بشكل عام فقالوا: **(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَحْيَا فِي رِعَايَتِكَ». 19فَأَجَابَ الرَّبُّ: «إِنَّ سَارَةَ زَوْجَتَكَ هِيَ الَّتِي تَلِدُ لَكَ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحقَ (وَمَعْنَاهُ يَضْحَكُ). وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ وَمَعَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَهْداً أَبَدِيّاً. 20أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدِ اسْتَجَبْتُ لِطِلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقّاً، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِراً، وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَهُ جِدّاً فَيَكُونُ أَباً لاثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً، وَيُصْبِحُ أُمَّةً كَبِيرَةً. 21غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ)**، [3] فهذا النص يبين بكل وضوح منهج كتبة سفر التكوين وتوجهم المقاصدي في صياغة النص بحيث يثبتون أن ملكية أرض كنعان والإرث الإلهي والعهد الإلهي كانا خاصين بإسحق ونسله وليس لأحد من أولاد إبراهيم عليه السلام هذا الحق وخصوصا ابنه إسماعيل لأن

---

1 – سفر التكوين 15: 1 – 19

2 – سفر التكوين 17: 7

3 – سفر التكوين 17: 18

إسماعيل سيصبح أبا لفرع كبير من العرب فهنا فصل كتبة السفر بين بني إسرائيل وبين العرب من ناحية الأصول القديمة ومن ناحية علاقة الله تعالى بكل منهما وتمييز الإله لنسل إسحق على نسل إسماعيل.

ثم يؤكد الكتبة هذا المقصد على لسان سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام بعد أن ولدت ابنها إسحق ورأت أنه من الواجب أن يطرد إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل من مكان سكن سارة وابنها وجعلوا السبب الرئيس لطلب سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية وابنها كي لا يرث مع ابنها إسحق فقالوا: (**وَرَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَسْخَرُ مِنِ ابْنِهَا إِسْحقَ، 10فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، فَإِنَّ ابْنَ الْجَارِيَةِ لَنْ يَرِثَ مَعَ ابْنِي إِسْحقَ». 11فَقَبُحَ هَذَا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ إِبْرَ اهِيمَ مِنْ أَجْلِ ابْنِهِ. 12فَقَالَ اللهُ لَهُ: «لاَ يَسُوءُ فِي نَفْسِكَ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَوْ أَمْرُ جَارِيَتِكَ، وَاسْمَعْ لِكَلاَمِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لأَنَّهُ بِإِسْحقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. 13وَسَأُقِيمُ مِنِ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ**)[1]

فهذا النص يثبت أن ذرية إسماعيل عليه السلام ستصبح أمة كبيرة والنصوص التي قبله تثبت أن الرب سيبارك إسماعيل وذريته لكنه امتنع أن يقيم عهده معه على الرغم من رغبة إبراهيم بذلك عندما خاطب الرب قائلا ليت إسماعيل يحيا برعايتك إلا أن الرب رفض ذلك ورفض أيضا أن يكون له أي ميراث بأرض كنعان مع إسحق على حسب التوجه المقاصدي لكتبة سفر التكوين.

وختم الكتبة حياة إبراهيم عليه السلام بعد هجرته الى أرض الميعاد بحديثهم عن زواج إبراهيم من امرأة اسمها قطورة بعد وفاة سارة وتنجب له ستة من الأبناء

1 – سفر التكوين 21: 9

ويصرحون بأن إبراهيم أعطاهم قبل موتهم بعضا من العطايا لكنه صرفهم جميعا وأخرجهم من أرض الميعاد من وجه ابنه اسحق ولم يبق فيها أحدا سواه وذلك لأن إسحق سياتي من نسله يعقوب عليه السلام وسينتقل الكتبة لتخصيص البركة الإلهية وملكية أرض كنعان له ولنسله من بعده الذين هم بنو إسرائيل.

فيقول الكتبة: (**وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً تُدْعَى قَطُورَةَ، 2فَأَنْجَبَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحاً. 3وَأَنْجَبَ يَقْشَانُ شَبَا وَدَدَانَ. أَمَّا أَبْنَاءُ دَدَانَ فَهُمْ: أَشُّورِيمُ وَلَطُوشِيمُ وَلأُمِّيمُ. 4وَأَبْنَاءُ مِدْيَانَ هُمْ: عَيْفَةُ وَعِفْرُ وَحَنُوكُ وَأَبِيدَاعُ، وَأَلْدَعَةُ. وَهَؤُلاَءِ جَمِيعاً مِنْ ذُرِّيَّةِ قَطُورَةَ. 5وَوَرَّثَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحقَ كُلَّ مَالَهُ. 6أَمَّا أَبْنَاؤُهُ مِنْ سَرَارِيهِ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ نَحْوَ أَرْضِ الْمَشْرِقِ بَعِيداً عَنْ إِسْحقَ ابْنِهِ**) [1]

المقصد الرابع: إثبات خصوصية الإله بإبراهيم عليه السلام وإسحق وذريته من بعده من نسل يعقوب

إن من أهم المقاصد التي كانت سببا لهجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد هو أن يعلن الرب عن نفسه لإبراهيم كأله خاص له ولبنيه من بعده من نسل إسحق ويعقوب، وتتمثل هذه الخصوصية وهذا الإعلان الإلهي في أرض الميعاد "أرض كنعان" حيث كانت هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان لأجل أن يتكون منه النسل والشعب الذي سيصبح الرب إلهاً خاصا له، فهجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض الميعاد أصبحت سببا رئيسا في تكوين الإله لشعبه الخاص به الذي اختاره عن دون باقي أمم وشعوب العالم كله.

فقال الكتبة: (**وَعِنْدَمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «أَنَا هُوَ اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، 2فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي**

1 - سفر التكوين 25: 1

وَبَيْنَكَ وَأُكَثِّرَ نَسْلَكَ جِدّاً». 3فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ اللهُ قَائِلاً: 4«هَا أَنَا أَقْطَعُ لَكَ عَهْدِي، فَتَكُونُ أَباً لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ. 5وَلَنْ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ الآنَ أَبْرَامَ (وَمَعْنَاهُ الأَبُ الرَّفِيعُ) بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ (وَمَعْنَاهُ أَبٌ لِجُمْهُورٍ) لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَباً لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ؛ 6وَأُصَيِّرُكَ مُثْمِراً جِدّاً، وَأَجْعَلُ أُمَماً تَتَفَرَّعُ مِنْكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. 7وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ). [1]

فالعهد المعطى لإبراهيم عليه السلام يتضمن اختيار الإله ابراهيم ونسله ليكون لهم إلها خاصا وليس إلهاً لكل شعوب الأرض وأممها، ويتضح من خلال نصوص سفر التكوين أن المقصود بهذا النسل هو نسل إسحق ويعقوب الذي تكون منه الشعب الإسرائيلي، وهذه قضية متأصلة في الفكر الديني اليهودي حيث يعتقد اليهود أن الههم هو إله خاص بهم وليس إلها لكل شعوب الأرض وساد عندهم الاعتقاد بأن هذا الإله لا يرضى أن يكون إلها إلا لهم، فهم وحدهم الذين يمثلون الإنسانية التي تستحق أن يرتبط بها الإله بالعهد والعبادة وغيرهم لا يحق لهم الارتباط بإله اليهود وعبادته إلا بعد خضوعهم للشعب المبارك، وهذا ما نصت عليه عشرات النصوص في التوراة والعهد القديم فقد ورد في سفر إرميا **(أمَّا العَهدُ الجديدُ الذي أُعاهِدُ بهِ بَيتَ إسرائيلَ بَعدَ تِلكَ الأيّامِ، فهوَ هذا: أجعَلُ شَريعَتي في ضَمائرِهِم وأكتُبُها على قلوبِهِم وأكونُ لهُم إلهًا وهُم يكونونَ لي شعبًا)** [2]

وورد أيضا في سفر التثنية: **(فأنتُم شعبٌ مُقدَّسٌ للرّبِّ إلهِكُمُ الذي اَختارَكُم لَه مِنْ بَينِ جميعِ الشُّعوبِ التي على وجهِ الأرضِ 7لا لأنَّكُم أكثرُ مِنْ جميعِ**

---

1 - سفر التكوين 17: 1 – 7

2 - سفر ارميا 31: 33

الشُّعوبِ فأنتُم أقلُّها 8بل لِمَحبَّتِهِ ومُحافَظَتِهِ على اليمينِ التي حلَفَها لآبائِكُم، فأخرجكُم بيدٍ قديرةٍ وفداكُم مِنْ دارِ العُبوديَّةِ، مِنْ قبضةِ فِرعَونَ مَلِكِ مِصْرَ.) [1]

ويعبر عن هذه العقيدة الحبر اليهودي يهوذا هاليفي في كتابه " الحجة والدليل " فيقول : " ... وتبلغ قمة العرض في الخصوصية اليهودية فاليهودية دين خاص جدا لليهود وحدهم يقوم على الشريعة اليهودية والاختيار والخروج والوعد والأرض والبقية الصالحة وليس دينا عاما وشاملا للإنسانية جمعاء يقوم على التنزيه ووجود إله خالق واحد كما هو معروف في كل دين في أصلي التوحيد والعدل والشريعة وقف عليهم ومن انضاف إليهم من الأمم نال خيرهم ولكنه لا يستوي معهم ولو كان لزوم الشرع من أجل ما خلقنا لاستوى فيه الأبيض والأسود إذ كلهم خلقه تعالى لكن الشرع من أجل إخراجه لنا من مصر واتصاله بنا لكوننا الصفوة من بني آدم " . [2]

<u>المقصد الخامس: التأسيس للعداء الأبدي من قبل إسماعيل ونسله لإخوتهم من أبناء إبراهيم عليه السلام</u>

من خلال قراءة حدث هجرة إبراهيم عليه السلام وجميع الأحداث والإشارات والنبوءات التي تضمنتها نصوص هذه الهجرة في سفر التكوين سنجد أن كتبة السفر عملوا على التأسيس لقضية العداء الأبدي بين إسماعيل ونسله لإسحق ونسله وجميع إخوة إسماعيل من أبيه إبراهيم عليه السلام وتم التعبير عن هذا العداء بصورة مقاصدية واضحة تم تشكيل سياقها على شكل نبوءة الهية مستقبلية قدرها الإله بصورة لا تتغير.

وقد ساق كتبة السفر هذه النبوءة في حادثتين وقعتا لهاجر عليها السلام أما الحادثة الأولى فقد كانت قبل ولادتها لإسماعيل فيتحدث كتبة السفر أن هاجر

---

1 – سفر التثنية 7: 6

2 – هليفي، يهوذا – الحجة والدليل – ص 37

لما تزوجها إبراهيم عليه السلام وشعرت بأنها حامل هانت مولاتها في عينيها فشكت أمرها لإبراهيم فرد الأمر اليها تفعل بها ما شاءت فأذلت سارة هاجر مما اضطرها للهرب من وجه سيدتها وفي طريقها خاطبها ملاك الرب وأخبرها بنبوءة تخص الغلام الذي تحمله بين احشائها فقال الكتبة: (.... **فَعَاشَرَ هَاجَرَ فَحَبِلَتْ مِنْهُ. وَلَمَّا أَدْرَكَتْ أَنَّهَا حَامِلٌ هَانَتْ مَوْلاَتُهَا فِي عَيْنَيْهَا، 5فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «لِيَقَعْ ظُلْمِي عَلَيْكَ، فَأَنَا قَدْ زَوَّجْتُكَ مِنْ جَارِيَتِي وَحِينَ أَدْرَكَتْ أَنَّهَا حَامِلٌ هِنْتُ فِي عَيْنَيْهَا. لِيَقْضِ الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ». 6فَأَجَابَهَا أَبْرَامُ: «هَا هِيَ جَارِيَتُكِ تَحْتَ تَصَرُّفِكِ، فَافْعَلِي بِهَا مَا يَحْلُو لَكِ». فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ حَتَّى هَرَبَتْ مِنْهَا.7فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ الْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى شُورٍ. 8فَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَأَجَابَتْ: «إِنَّنِي هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ سَيِّدَتِي سَارَايَ». 9فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «عُودِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي لَهَا». 10وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى» 11وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَ ذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ.12وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ)** [1]

ونجد أن ترجمات التوراة والعهد القديم اختلفت في التعبير عن هذه القضية لكنها أكدت مسألة المعاداة التي ستكون من إسماعيل لإخوته ففي ترجمة فانديك وسميث ورد: **(وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيراً أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». 11وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْناً وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. 12وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»)** [2] وفي الترجمة اليسوعية الكاثوليكية

1 – سفر التكوين 16: 4 – 12

2 – سفر التكوين 16: 10 – ترجمة فأنديك وسميث – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

ورد **(وقالَ لَها مَلاكُ الرَّبّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسلَكِ تَكْثيرًا حتَّى لا يُحْصى لِكَثرَتِه». 11 وقالَ لَها مَلاكُ الرَّبّ: «ها أنتِ حامِلٌ وستَلِدينَ آبنًا وتُسَمِّينَه إسْماعيل لأَنَّ الرَّبَّ قد سَمِعَ صَوتَ شَقَائِكِ 12 ويَكونُ حِمارًا وَحْشِيًّا بَشَرِيًّا يَدُه على الجَميعِ ويَدُ الجَميعِ علَيه وفي وَجهِ جَميعِ إِخوَتِه يَسكُن».)** [1] وفي الترجمة العربية المشتركة المسماة بالأخبار السارة ورد: **(10ثُمَ قالَ لها: «كثيرًا أجعَلُ نسلَكِ حتى لا يُحصَى لِكَثرَتِه». 11وقالَ: «أنتِ حُبلَى وستَلِدين اَبنًا فتُسمِّينه إسماعيلَ، لأنَّ الرّبَ سَمِعَ صُراخ عَنائِكِ. 12ويكونُ رَجلاً كحمارِ الوحشِ، يَدُهُ مرفوعةٌ على كُلِّ إنسانٍ، ويَدُ كُلِّ إنسانٍ مرفوعةٌ علَيهِ، ويَعيشُ في مواجهَةِ جميعِ إخوتِهِ).** [2]

وفي ترجمة كتاب الحياة ورد: **(10وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «لأُكَثِّرَنَّ نَسْلَكِ فَلاَ يَعُودُ يُحْصَى»، 11وَأَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَ ذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ. 12وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ».)** [3]

وفي ترجمة الكتاب الشريف ورد: **(10 وَقَالَ لَهَا أَيْضًا: "أَنَا سَأُكَثِّرُ نَسْلَكِ، فَلا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ". 11 ثُمَّ قَالَ الْمَلاكُ: "أَنْتِ الآنَ حُبْلَى وَسَوْفَ تَلِدِينَ ابنًا،**

---

1 – سفر التكوين 16 – 10 – الترجمة اليسوعية الكاثوليكية – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

2 – سفر التكوين 16 – 10 – الترجمة العربية المشتركة – الاخبار السارة – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

3 – سفر التكوين 16 – 10 – كتاب الحياة – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

وَتُسَمِّينَهُ اِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ اللهَ سَمِعَ عَنْ شَقَائِكِ. 12 وَسَيَكُونُ إِسْمَاعِيلُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ فِي خِلافٍ مَعَ كُلِّ اِخْوَتِهِ.").[1]

وفي ترجمة الملك جيمس ورد : 12 And he will be a wild man; his hand will be against every man, and every man's hand against him; and he shall dwell in the presence of all his brethren.[2]

أي أن يده ستعادي جميع الناس وأيدي جميع الناس ستعاديه.

ولو عدنا الى النص الذي تحدث فيه كتبة سفر التكوين عن طلب سارة من إبراهيم عليه السلام أن يطرد هاجر وابنها من أمامها وينفذ فيه إبراهيم هذا الطلب بأمر من الرب نفسه، والنص الذي يتحدث إعطاء إبراهيم لأبنائه عطايا قبل وفاته ثم صرفه إياهم من ارض كنعان ولم يبق فيها الا ابنه اسحق لعلمنا ان المقصود الأساسي في هذا النص اسحق عليه السلام أي ان الكتبة أرادوا اثبات معادة إسماعيل ونسله لإسحق ونسله بشكل خاص هذا فضلا عن باقي إخوته.

ويتعرض النص لإسماعيل عليه السلام بالإساءة والانتقاص من قدره حتى قبل أن يولد، مع أن كتبة سفر التكوين يثبتون أن الله باركه وأخبر إبراهيم أن نسله سيصبح أمة عظيمة لكنهم قصدوا الإساءة له ولنسله لأن إسماعيل سيصبح بعد هجرته إلى أرض فاران التي هي مكة المكرمة أبا لفرع من العرب وسيأتي من نسله رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فأرادوا اثبات معاداة العرب لبني إسرائيل ومعاداة محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه لهم.

وإن الإغراق في الإساءة لإسماعيل عليه السلام في ترجمات التوراة والعهد القديم المتعددة والزيادة في وصف هذه المعاداة ووصف إسماعيل بأنه سيكون حمارا وحشيا ويعيش مستوحشا متحديا جميع إخوته ويعيش في مواجهة الجميع

---

1 - سفر التكوين 16 – 10 – الكتاب الشريف – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

2 - سفر التكوين 16 – 10 – ترجمة الملك جيمس – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع

دليل على إضافة كتبة سفر التكوين هذا النص لإثبات مرادهم ومقصدهم في جعل العداء بينهم وبين العرب من نسل إسماعيل قدرا إلهيا وأمرا محتوما يبررون من خلاله كل أفعالهم ضدهم، ويجعلون السبب في أصل هذا العداء ما ركب في إسماعيل ونسله من رغبة في المعاداة والتوحش في طبعهم وأصل خلقتهم.

المبحث الثاني:

مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام الى الأرض المباركة في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام وقومه ورسالته في أكثر من خمسين موضعا، في أكثر من عشرين سورة من سور القرآن لكريم، ودار الحديث عن إبراهيم عليه السلام حول أربعة موضوعات في الغالب وهي: الحديث عما وقع بين إبراهيم عليه السلام وقومه أثناء دعوته لهم قبل هجرته، وذكر هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة وأهم الأحداث التي وقعت بعدها، وذكر أوصاف خاصة بإبراهيم عليه السلام ونبوته ورسالته، وذكر علاقة إبراهيم عليه السلام بالإسلام وأمته وأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي الوقت الذي سكتت فيه التوراة سكوتا تاما عن ذكر علاقة إبراهيم عليه السلام بقومه وبدأت الحديث عن حياته بهجرته إلى أرض كنعان نجد القرآن الكريم يتحدث بتوسع عن هذه العلاقة وعن دور إبراهيم ووظيفته التي أداها في قومه قبل هجرته بزمن طويل، فقد تحدث القرآن الكريم عن دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه إلى دين الله تعالى وإلى عقيدة التوحيد، وقد كانوا يعبدون الكواكب في السماء والأصنام في الأرض والملك الذي كان يحكمهم وهو النمرود وقد ادعى الربوبية ودعاه إبراهيم عليه السلام إلى دين الله تعالى وأشار القرآن الكريم إلى هذه الدعوة بقوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ**

إبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [1]

ثم ذكر دعوته إلى قومه وما حدث بينه وبينهم وأهم الأحداث التي وقعت له وأدت إلى هجرته في عدد من الآيات والمواضع منها قوله تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72))** [2]

---

1 – سورة البقرة– الآية 258

2 – سورة الأنبياء– الآيات 51 – 72

فهذه الآيات تبين طبيعة حياة إبراهيم عليه السلام بين قومه وما كان يدور بينه وبينهم أثناء دعوته لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك شركهم وعبادتهم للأصنام، الأمر الذي لم تتطرق له نصوص سفر التكوين في التوراة أبدا، والتي انتقلت بعد الحديث عن نسبه إلى الحديث عن هجرته مع أبيه إلى أرض حاران مباشرة للتأسيس لمقاصد هذه الهجرة بعيدا عن الحديث عن دين إبراهيم عليه السلام أو الحديث عن أي شيء يتعلق بحياته قبل الهجرة.

وأشار القرآن الكريم إلى هجرة إبراهيم عليه السلام في أربعة مواضع وهي:

الأول: قوله تعالى: **(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50))** [1]

الثاني: قوله تعالى : **(وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**

---

1 - سورة مريم- الآيات 44 – 50

(98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) [1]

الثالث: قوله تعالى : (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [2]

الرابع: قوله تعالى : (**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)**) [3]

فهذه الآيات جميعها تدل بوضوح على عزم إبراهيم عليه السلام الهجرة عن أرض قومه وقد أضافت هذا العزم لإبراهيم عليه السلام في ثلاثة مواضع عبر في الأول عن الهجرة بالاعتزال عن قومه، وفي الثاني قال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين، وفي الثالث قال: إني مهاجر إلى ربي، قال الإمام الشوكاني في تفسير قول إبراهيم عليه السلام واعتزلكم: "أي أهاجر بديني عنكم وعن

---

1 - سورة الصافات- الآيات 83 – 102

2 - سورة العنكبوت- الآيات 24 – 26

3 - سورة الأنبياء- الآيات 51 – 72

معبوداتكم حيث لم تقبلوا نصحي ولا نجعت فيكم دعوتي"، [1] وقال الإمام البغوي في تفسير قول إبراهيم عليه السلام إني ذاهب الى ربي: أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي، قاله بعد الخروج من النار، [2] وذكر الامام القرطبي في تفسير قول إبراهيم عليه السلام اني مهاجر الى ربي: " الَّذِي قَالَ:" إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي" هُوَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ قَتَادَةُ: هَاجَرَ مِنْ كَوْثًا وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ إِلَى حَرَّانَ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ تَارِخَ، وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: هَاجَرَ مِنْ أَرْضِ حَرَّانَ إِلَى فِلَسْطِينَ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَرْضِ الْكُفْرِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ". [3]

وأما الموضع الرابع فقد أضاف الله تعالى ما يدل على هجرة إبراهيم عليه السلام من أرض قومه إلى نفسه تعالى في قوله: (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**) فبعد أن دعا إبراهيم قومه ورفضوا دعوته فكسر أصنامهم فعرفوا بأمره وضعوه في نار عظيمة فأنجاه الله تعالى منها ثم عزموا على قتله فأنجاه الله تعالى منهم ومن شرهم بأن أمره بالهجرة إلى الأرض المباركة وحماه الله تعالى وأيده إلى أن وصل اليها وابتعد عن شرهم وسوئهم ليستأنف دعوته في موضوع تقع فيه دعوته موقعها ويستجيب فيها أهلها .

---

1 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- دار ابن كثير- دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط 1 - 1414 هـ - ج 4 - ص460

2 - البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد-معالم التنزيل- دار السلام للنشر- الرياض- ط 1- 1416 هـ-ج 7- ص 46.

3 - القرطبي، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين - الجامع لأحكام القرآن- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية - القاهرة - ط 2 - 1964 م - ج 13 - ص 339

وذكر الإمام ابن الجوزي في تفسيره الاختلاف في تحديد الأرض المباركة التي هاجر اليها إبراهيم عندما أنجاه الله من كيد قومه فقال: " فأما قوله تعالى {إلى الأرض التي باركنا فيها}، ففيها قولان: أحدهما: أنها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين. وبَرَكتها: أن الله عزّ وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار، والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن عباس. والأول أصح .[1]

إن قراءة آيات القران الكريم التي تحدثت عن حياة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة وتحليلها تبين لنا أن هجرته اليها كانت لأجل ثلاثة مقاصد وهي: الأول: الدعوة الى دين الله تعالى وعبادته وحده، الثاني: تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام، المقصد الثالث: بناء الكعبة المشرفة وإعادة عبادة الله تعالى فيها.

المقصد الأول: الدعوة الى دين الله تعالى وعبادته وحده

ودل على هذا المقصد عدد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)**) [2]

بينت هذه الآيات أن المقصد من هجرة إبراهيم وابن أخيه لوطا عليهما السلام أن يكونان سببا في هداية الأمم التي سيهاجرون إليها ولم يقل الله تعالى يهتدون وإنما قال يهدون أي يكونون سببا في الهداية أي في الدعوة لدين الله تعالى وعبادته، وقال أئمة أي قادة ودعاة إلى الخير يأمون الناس في عقيدتهم

---

1 – ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد – زاد المسير في علم التفسير – دار الكتاب العربي – بيروت ط 1 – 1422 هـ – ج 4 – ص 349

2 – سورة الأنبياء – الآيات 71 – 73

وفي عبادتهم لله تعالى في موضع ستثمر دعوتهم فيه، ليس كما وقع لهما في أرض العراق، يقول الإمام الطبراني في تفسيره لهذه الآية: " قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً } أي قَادَةً في الخيرِ، { يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا }؛ أي يدعونَ الخلقَ إلى أمرِنا ودِيننا، { وأوحينا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ }؛ أي شرائعَ النبوَّةِ ، وَقِيْلَ : أمَرناهم بفعلِ الخيرات، { وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَاةِ وَكَانُواْ لَنَا عَابِدِينَ }؛ أي خاضعين مطيعين.[1]

والآية الثانية التي تدل على هذا المقصد قوله تعالى : **(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)** [2] وموطن الدلالة على المقصد في هذه الآية أن الله تعالى ذكر في حديثه عن هجرة ابراهيم ولوطا أنه جعل لهما لسان صدق عليا، ويذكر الإمام الماوردي ثلاثة معان للمقصود بلسان الصدق في هذه الآية فيقول : "فيه وجهان: أحدهما: جعلنا لهم ذكراً جميلاً وثناءً حسناً، قاله ابن عباس، وذلك أن جمع الملك بحسن الثناء عليه. الثاني: جعلناهم رسلاً لله كراماً على الله، ويكون اللسان بمعنى الرسالة: ويحتمل قولاً ثالثاً: أن يكون الوفاء بالمواعيد والعهود.[3]

وذكر الإمام ابي حيان الأندلسي نقلا عن الزمخشري قوله في تفسير معنى هذه الآية ومعنى لسان الصدق العلي الذي وهبه الله لإبراهيم عليه السلام ولوطا: " وقال الزمخشري: والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب اللّه وآياته وكتبه ورسوله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان

---

1 – الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي – تفسير القران العظيم – نسخة المكتبة الشاملة – بترقيم المكتبة الشاملة – ب، ط – ب، د – ج 5 – ص 320

2 – سورة مريم – الآيات 44 – 50

3 – الماوردي – علي بن محمد بن حبيب البصري – النكت والعيون – تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ب. د – ج 3 – ص 375.

مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نَبِيًّا في نفسه لقوله تعالى: "بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ" وكان بليغا في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق اللّه بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك". [1]

وإن قوله تعالى: (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**) [2] وقوله: (**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [3] فيهما دلالة عظيمة على مقصد هجرة إبراهم عليه السلام، وفيهما من البيان القرآني ما يدل على حقيقة هذه الهجرة وأساسها فلم يقل إبراهيم عليه السلام إني مهاجر إلى موضع كذا أو مكان كذا – كما ورد في التوراة – وإنما قصد الله تعالى فلم يقصد الجهة وإنما قصد دين الله تعالى، وقدرته على إقامته في أرض يأمن فيها على نفسه ويقدر فيها على الدعوة لدين الله تعالى، وطلب من الله ان يهديه في هجرته وفي عمله فيها وأن يهديه إلى الأرض التي يجد فيها ما يقصده من دعوة لله تعالى، ولم يطلب الهداية للوصول إلى أرض معينة، ولهذا لم يذكر القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام ما يدل على هجرته الى الأرض المباركة وتوقف القرآن عند الحيث عن عزم إبراهيم ورغبته بالهجرة وحدها مبينا أسبابها ومقاصدها ونية إبراهيم عليه السلام فيها غير مبين مكانها، ولكن عندما أضيفت الهجرة لفعل الله تعالى بين الله أن الأرض التي نجاه إليها هي الأرض المباركة وأضاف الله الفعل لنفسه تبيانا لاستجابته طلب إبراهيم الهداية من الله تعالى، فالله تعالى هو من اختار الأرض التي هاجر إليها إبراهيم عليه السلام عندما قال: (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) ولم يحدد الله تعالى هذه الأرض

---

1 – ابو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف بن علي اثير الدين– البحر المحيط في التفسير – تحقيق – صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – ط 1420 هـ – ج 7 – ص 267.

2 – سورة الصافات– الآيات 83 – 102.

3 – سورة العنكبوت– الآيات 24 – 26

المباركة انها أرض فلسطين أو غيرها، لأن المقصد الأساسي ما سيقوم به إبراهيم عليه السلام في هذه الأرض وليس الأرض بذاتها.

وذكر الإمام الرازي كلاما بليغا في تفسيره لقوله تعالى: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فقال: " لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه، وحصل اليأس الكلي حيث رأى القوم الآية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة، لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسدة لأنه إن دام على الإرشاد كان اشتغالا بما لا ينتفع به مع علمه فيصير كمن يقول للحجر صدق وهو عبث أو يسكت والسكوت دليل الرضا فيقال بأنه صار منا ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة.... ولم يقل مهاجر إلى حيث أمرني ربي مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة، فنقول قوله: مهاجر إلى حيث أمرني ربي ليس في الإخلاص كقوله: إِلى رَبِّي لأن الملك إذا صدر منه أمر برواح الأجناد إلى الموضع الفلاني، ثم إن واحدا منهم سافر إليه لغرض في نفسه يصيبه فقد هاجر إلى حيث أمره الملك ولكن لا مخلصا لوجهه فقال: مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي يعني توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس طلبا للجهة إنما هو طلب للّه ". [1]

بينما نجد أن التوراة غضت الطرف تماما عن كل ما يتعلق بدين إبراهيم عليه السلام وجعلت المقصد من هجرته الجهة المكانية وليس الجهة الدينية حتى أن ادعاء اليهود بأن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا لا دليل عليه في التوراة فلا يوجد أي نص في التوراة يذكر أن دين إبراهيم عليه السلام كان اليهودية مطلقا، ولا يذكرون أي مهمة أو وظيفة دينية له في القوم الذين هاجر إليهم أو الأرض التي هاجر اليها، وإنما تم التركيز على هجرته إلى أرض كنعان تحديدا لربط

1 – الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي – الملقب بفخر الدين الرازي – مفاتيح الغيب – دار احياء التراث العربي – بيروت – ط 3 – 1420 هـ. –ج 25 – ص 47

هذه الحدث بالمكان المقصود وما يترتب عليه من حق اليهود فيه، فلم يتم تصوير إبراهيم عليه السلام في التوراة على أنه نبي مرسل هاجر لتأدية مهمة رسالية دينة إصلاحية وإنما تم تصويره على أنه صاحب حق لأرض عاد إليها لأخد حقه فيها بتملكها وتكوين نسل يرثها من بعده.

المقصد الثاني: تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام في الأرض المباركة

من المعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يرزق بالأبناء أثناء إقامته في أرض العراق، وعند العودة إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى الأرض المباركة نجد ان أغلبها اقترنت بهبة الله تعالى لإبراهيم الأبناء بعد الحديث عن الهجرة مباشرة وجعل هؤلاء الأبناء رسلا وأنبياء، وكأن النص القرآني يريد أن يثبت أن المقصد من هجرة إبراهيم عليه السلام تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام حيث لم يأت نبي بعده إلا كان من نسله.

فقال الله تعالى: (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**) [1] وقال أيضا: (**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)**) [2] وقال: (**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**) [3] وقال: (**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ**

1 - سورة الصافات- الآيات 99 – 101

2 - سورة مريم- الآيات 44 – 50

3 - سورة الأنبياء- الآية 72

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) [1] .

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام جاء بعد هجرته وجاء هذا التأسيس كهبة ومنحة من الله تعالى لإبراهيم تعالى لأنه هاجر بدينه إلى الله تعالى لا يقصد تملكا لأرض ولا يقصد شيئا من أشياء الدنيا ولا يقصد الفرار من قومه خوفا على نفسه، وإنما كل قصده إقامة دين الله تعالى في الأرض التي أمره الله تعالى بالهجرة إليها، لهذا ذهب بعض المفسرين إلى أن مسألة تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام كانت مكافاة من الله تعالى على صدق قصده ونيته في هجرته، وهذا مصداق قوله تعالى: **(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى)** [2]، فعندما وفى إبراهيم عليه السلام بكل ما أمره الله تعالى به كافأه بأن جعل في نسله النبوة وختمت في نسله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الإمام السعدي في معنى قوله تعالى وفى : "أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه" . [3]

ومن أكثر الآيات دلالة على تأسيس النبوة في نسل إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: **(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي**

---

1 - سورة العنكبوت- الآية 27

2 - سورة النجم- الآيات 37 – 40.

3 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط 1 – 2000 م- ج 1 – ص 821.

الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)) [1]

وقد أراد الله تعالى لهذه النبوة ولهذا النسل من الأنبياء والرسل أن يكون في الأرض المباركة لما لها من أهمية بالغة في نشر دين الله تعالى بين أهل تلك المنطقة ولما لها من مقاصد متعلقة بأول مسجدين وضعا لعبادة الله تعالى فيهما في الأرض وهما المسجد الحرام والمسجد الأقصى وسأذكر هذه المقاصد اثناء حديثي في المبحث الثالث.

وهنا يتجلى الفرق بين مقاصد التوراة وبين مقاصد القرآن الكريم في تأسيس مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام حيث أثبتت التوراة أن من مقاصد هجرته عليه السلام تأسيس الشعب المختار والشعب في المبارك في الأرض المباركة وقصدوا بذلك تميزهم عن البشر وملكيتهم لهذه الأرض المباركة وخصوصية الإله بهم دون ربط معنى هذا الاختيار بدين الله تعالى او بالدعوة إليه ونشره فأثبتوا تأسيس الاختيار الإلهي للشعب الإسرائيلي من نسل اسحق ويعقوب تحديا وحصرا بسبب الهجرة، لإثبات عظمتهم ورفعتهم على أمم الارض، بينما نجد القرآن الكريم يربط هذه الهجرة بتأسيس دين الله تعالى في الأرض ويجعل إبراهيم ونسله الأمة المسؤولة عن هداية الأمم ودعوتها لدين الله تعالى وهذا هو المعنى

---

1 – سورة الأنعام– الآيات 83 – 90

الحقيقي والصادق في قول الله تعالى لإبراهيم الذي أورده كتبة التوراة بأن الأمم ستتبارك به وأن من يباركه سيتبارك ببركته ومن يلعنه سيلعن بسببه فمعنى البركة هنا هي بركة الدين المتحققة باتباع دين إبراهيم أبنائه من بعدة وليس خضوعهم له ولنسله من إسحق خضوع تحكم وسيادة بسبب الاختيار الإلهي لهم، وهنا يتجلى أيضا معنى الاختيار الحقيقي فالاختيار هو اختيار الله لهم بحمل أمانة النبوة والرسالة الإلهية للأمم والشعوب وليس التميز في العرق، ولهذا أرادت التوراة إعلاء شأن بني إسرائيل بسبب هذه الهجرة وانتسابهم لإبراهيم عليه السلام في الوقت الذي أراد الله تعالى في القرآن الكريم إعلاء دينه وإعلاء شأن الأمة المسؤولة عن الدعوة لدينه من إبراهيم ونسله عليهم السلام.

المقصد الثالث: بناء الكعبة المشرفة وإعادة عبادة الله تعالى فيها.

إن من أهم القضايا التي قصد كتبة التوراة حذفها من الحديث عن هجرة إبراهيم عليه السلام هي قضية هجرته إلى أرض مكة وبناء الكعبة المشرفة فيها وجعل هجرة إبراهيم محصورة في أرض كنعان وحدها وذلك نفيا لكل ما يتعلق بإبراهيم عليه السلام بأرض مكة والتي سيخرج فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً إلى أمم الأرض كلها، وزيادة في التمركز حول الذات وتوجيها للتوراة لتكون كتابا خاصا لا يرى في الأرض وأممها إلا أمة واحدة وهي أمة بني إسرائيل.

لقد أثبت القرآن الكريم ما نفته التوراة وأرادت تغييبه وتغييب ذكره تماما وهو بناء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة التي سيتأسس الدين الإسلامي في الأرض التي أقيمت فيها بعد فترة من الزمن وستكون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم امتدادا لدعوة ابيه ابراهيم عليه السلام، وجعل القرآن الكريم هذا الحدث المهم مقصدا من مقاصد هجرته.

فقال تعالى: (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [1]

وقال الله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**) [2]

---

1 – سورة البقرة– الآيات 127 – 129

2 – سورة إبراهيم– الآيات 35 – 41

وقال الله تعالى: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) [1]

فهذه الآيات تدل على أن أحد أهم المقاصد الأساسية لهجرة إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة المشرفة في الأرض المباركة وعبر الله تعالى عن هذا الأمر الإلهي بقوله: (**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**) يقول الإمام البغوي في معنى قوله تعالى وعهدنا: " أي أمرناهما وأوحينا إليهما، ... {أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ} يعني الكعبة أضافه إليه تخصيصا وتفضيلا أي ابنياه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبير وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور". [2]

وإن في بناء الكعبة المشرفة في شبه الجزيرة العربية من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فيه معنى من معاني تأسيس دين الله تعالى بين أمة العرب وقبائلهم في تلك المنطقة، وتمهيدا لطريق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بينهم، ولهذا عندما جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان هناك عدد من أبناء العرب وأشرافهم على دين إبراهيم عليه السلام أو يحملون إرثا من دينه الذي انتشر بين آبائهم في زمن إبراهيم عليه السلام. [3]

1 – سورة آل عمران– الآيات 96 – 99.

2 – البغوي – معالم التنزيل — ج 1 – ص 148.

3 – انظر: ملكاوي، محمد احمد محمد عبد القادر – الحنفاء العرب، تاريخهم وعقائدهم وعلاقاتهم بالمجتمع العربي قبل الإسلام – دار الأمل – إربد – الأردن – ط 1 – 2011 م– ص 47 وما بعدها.

لقد كانت مكة في زمن إبراهيم عليه السلام أرضا مهجورة، ولا مقوم من مقومات الحياة فيها بدليل قوله تعالى عن إبراهيم لما ترك هاجر وابنها إسماعيل فيها: (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**) [1] وبالتالي فإن عبادة الله تعالى فيها لم تكن قائمة، وكان بناء الكعبة المشرفة معظمه مهدوم ولم يبق منه إلا القواعد وهذا يدل على أنه لم يكن في فترة إبراهيم عليه السلام من يصلي ويعبد الله تعالى في ذلك البيت الذي كان أول بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض.

وقد اختلف في أول من بنى الكعبة فقيل الملائكة، وقيل آدم عليه السلام ولكن بناءه اندرس في زمان الطوفان ثم أظهره الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حتى بناه، [2] وورد في البدء والتاريخ لابن المطهر أن الله تعالى لما أنزل آدم عليه السلام إلى الأرض حزن على ما فاته من نعيم الجنة فعزاه الله عنه بخيمة من خيام الجنة درة مجوفة فوضعها في موضع الكعبة اليوم وجعل يطوف بها مع الملائكة قالوا فلما كان زمن الغرق رفعت الخيمة إلى السماء، وزعم وهب أن أول من بنى الكعبة بالطين والحجارة شيث بن آدم عليه السلام فلما كان زمن إبراهيم عليه السلام أمره الله تعالى ببناء البيت. [3]

وبقيت عبادة الله تعالى في الكعبة المشرفة قائمة في أولاد آدم عليه السلام حتى دخل عليهم الشرك فتركت عبادة الله تعالى فيها وهجر موضعها حتى بعث

---

1 - سورة إبراهيم- الآية 37.

2 - العليمي، مجير الدين الحنبلي - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل- مكتبة دنيس - عمان - ط 1999م - تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة - ج 1 - ص 38.

3 - المقدسي، المطهر بن طاهر - البدء والتاريخ - مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - مصر - ب. ط- ج 1 - ص 211.

الله تعالى إبراهيم عليه السلام، وذلك بعد أن أصاب منطقة شبه الجزيرة العربية القحط والجفاف فهاجرت قبائل أحفاد آدم عليه السلام نحو الشمال إلى أرض العراق وأرض الشام طلبا للماء والخضرة والمراعي وكانت من هذه القبائل التي هاجرت القبيلة العربية التي ينتسب إليها إبراهيم عليه السلام. [1]

وفي هذه الآيات عدد من المعاني المهمة التي يتوجب الإشارة اليها أولها: في آيات سورة البقرة بعد أن تحدث الله تعالى عن رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت ذكر دعائهما فقال : (**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) ففي الآية الأولى يثبت الله تعالى أن دين إبراهيم عليه السلام الذي كان يدعو اليه في هجرته هو الإسلام وليس اليهودية وهذا مصداق قوله تعالى : (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، [2] وفي الآية الثانية يطلب إبراهيم عليه السلام أن يبعث الله

---

1 - ورد في روايات بعض المؤرخين أن إبراهيم عليه السلام ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وأنه ينتمي إلى القبائل العربية الآرامية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت على ضفاف الفرات واستقر فريق منها في جنوب العراق ومنها أسرة إبراهيم عليه السلام، ويكاد يتفق المؤرخون على أن مولده كان في العراق في مدينة (أور) أو في مدينة (كوثا) التي كانت مهدا للساميين في العراق منذ اقدم العصور وأن العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام هو عصر عربي قائم بذاته وله مقوماته القومية واللغوية والدينية وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبقبائلها وبلغتها الأم، ومع أن إبراهيم عليه السلام استقر في أرض العراق إلا أنه كان على اتصال دائم مع القبائل العربية التي يرتبط بها بصلة القربى والوطن الواحد واللغة الواحدة وكانت له جمال وأغنام واتصالات تجارية مع القبائل التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز. انظر: اليهود وارض كنعان – تركي الزغبي – دار رسلان – دمشق – ط 2012 – ص 61، وانظر: موسوعة عباس العقاد – كتاب إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي– بيروت – ط 1 – 1970 – م 1 – ص 455 – 456.

2 - سورة ال عمران– الآية 67

تعالى في الأمة التي أقام الله في أرضهم بيته الحرام وهم العرب أن يبعث فيهم رسولا منهم أي عربيا من نسلهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وهذه نبوءة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته في الأرض التي بنى فيها إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام، وإن دعوته هي امتداد لدعوة جده إبراهيم وجده وإسماعيل عليهما السلام، وأن في بقاء إسماعيل في أرض مكة هو وأمه هاجر مقدمة لتأسيس دين الله تعالى في هذه الأرض التي سيبعث فيها محمد صلى الله عليه وسلم وستنتشر بفضلة رسالة الإسلام في كل بقاع الأرض من هذه الأرض المباركة .

أما الإشارة الثانية فهي في قوله تعالى: (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**) فقوله تعالى أسكنت تدل على أن إبراهيم نقل جزءً من ذريته وهو إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر وأسكنهم في أرض مكة وفي هذا الأمر دلالة على هجرته الى أرض مكة، ثم علل هذه السكنى بقوله (**رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ**) فإقامة الصلاة هنا تعبير عن إقامة الدين كله، فالمقصد من هجرته بهم إلى أرض مكة الأرض التي كانت من غير زرع ولا تصلح للحياة أبدا إنما ليكون فيهم ما يؤدي إلى إقامة دين الله تعالى في هذه الأرض بسبب هجرتهم إليها وكأنه غرس هذا النسل من ذريته ليكون سبباً في نبات الدين في هذه الأرض وأن يثمر هذا النبت أمة مسلمة تقيم أمر الله تعالى .

الإشارة الثانية في آيات سورة آل عمران فقد أثبت الله تعالى أن دين إبراهيم عليه السلام للناس كافة ولكل العالم وليس لبني إسرائيل وحدهم كما ذهبت إليه التوراة وذلك بقوله تعالى: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**) وأن المقصود من إقامة هذا البيت وبنائه تحقيق الهداية في حياة

الأمم وليس ملكية أرض مكة او تأسيس شعب معين دون غيره من الناس، وفيها أن أحد مقاصد إقامة هذا البيت تشريع ووجوب الحج على الأمم والشعوب التي تؤمن بدعوة إبراهيم عليه السلام وأن الحج الذي يقبله الله ويرضاه يكون لهذا البيت في أرض مكة وليس لأرض القدس أو لهيكل سليمان عليه السلام كما يدعي اليهود فقال تعالى : (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**) فصلة إبراهيم بمكة أوثق من صلته بأرض فلسطين لأنه من خلال هجرته إليها وإعادة بناء بيت الله الحرام فيها شرع الله تعالى عبادة من أعظم العبادات في الإسلام، وفيه دلالة على علاقة إبراهيم الوثيقة بالإسلام وبنبيه صلى الله عليه وسلم فالمسلمون يحجون كما حج نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم على طريقة جده إبراهيم وجده إسماعيل عليهما السلام من قبله.

أما الإشارة الأخيرة وهي إشارة بالغة الأهمية وهي أن الله تعالى بعد أن تحدث عن الحج وتشريعه ووجوبه في زمن إبراهيم عليه السلام وجه الخطاب لأهل الكتاب مباشرة يشير تعالى إلى إنكارهم هذا الأمر وإنكارهم علاقة إبراهيم عليه السلام بأرض مكة وبنائه بيت الله تعالى فيها، وأن دين الله تعالى تأسس في أرض العرب ومنه إلى العالم بفضل هجرة ابراهيم إلى أرض مكة فقال تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) فيخاطبهم الله تعالى ويبين الله كفرهم بهذه الحقيقة الناصعة التي كانت في توراتهم ثم حرفوها ويبين لهم أنهم مالوا عن الحق إلى الباطل الذي تمثل بنفي هجرة إبراهيم إلى أرض مكة وبنائه البيت الحرام وفي هذا صد عن سبيل الله تعالى وصد عن دين الله تعالى لاتباعهم ولغيرهم من أن يبينوا حقيقة ما كان في توراتهم ويكونون سببا لإيمانهم بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم أعرف الناس به وبوصفه في توراتهم

وأعرف الناس بعلاقة إبراهيم بأرض مكة وبالبيت الحرام وبدين الله تعالى الذي انطلق من جزيرة العرب وليس من أرض القدس لكنهم كفروا بهذه الحقائق، وإن من معاني الكفر: "التغطية والإخفاء" وهذا يدل على أنهم اخفوا هذه الحقيقة في توراتهم وغطوها بغيرها من الضلالات والأباطيل التي جعلت دينهم بعيدا عن دين الله تعالى الذي دعا اليه إبراهيم وبنيه من بعده، وخصوصا أن التوراة نزلت على موسى عليه السلام بعد الفترة التي عاش فيها إبراهيم عليه السلام بمدة طويلة، وتمت إعادة كتابتها وجمعها عدة مرات بعد وفاة موسى عليه السلام ولابد أن تكون هذه الحقيقة ماثلة فيها لتبشيرها بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم ولارتباط دعوة محمد بدعوة جده إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث:

رؤية تحليلية تاريخية في مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة

إن الأسئلة الأساسية التي أريد أن أجيب عنها في هذا المبحث هي: لماذا هاجر إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان قبل هجرته إلى أرض مكة؟ ولماذا لم تستمر دعوته في أرض العراق؟ وما هي الأسباب التي جعلت أهل كنعان يستقبلون إبراهيم عليه السلام ويحتفون به ويوافقون على سكناه بينهم بينما رفض أهل العراق دعوته وحاربوه وحاربوها ولم تستمر بينهم؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة مرتبطة بقضيتين الأولى: تكمن في أصل دين أهل العراق ودين أهل سوريا القديمة بما فيهم الكنعانيون قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، والقضية الثانية: تكمن في علاقة إبراهيم عليه السلام وذريته بالمسجد الأقصى.

المسألة الاولى: الكنعانيون وعبادة الإله إيل

تظهر لنا المؤلفات والدراسات في تاريخ الأديان أن الحضارة العراقية بكافة دولها ومراحلها التاريخية كانت قائمة على تعدد الإلهة، فمنذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد كان لكل مدينة في أرض العراق إله يحميها وكان لكل مقاطعة مجموعة آلهة، وكان لكل أسرة آلهتها ولكل فرد رب يحميه، ثم اعتبر العراقيون هذه الآلهة آلهة صغار وأنها صورة وصفية من الآلهة الكبار، [1] حيث اتخذوا عددا من الآلهة الكبار من أهمها " آن" وهو إله السلطة الإلهية في السماء ويقابله " آنو" عند السومريين، و"آنليل " وهو إله الليل وهو سيد الغلاف الجوي والرياح، و"مردوخ " وهو إله بابل الرئيس وزعيم الآلهة وهو إله الرعد والهواء والعواصف، و" إيا " إله الحكمة والمياه العذبة، و"سين" إله القمر، وشيمش إله الشمس وهو إله العدل الذي ينير الظلمات. [2]

وكان فكرهم الديني الرئيس يتجه نحو عبادة النجوم والكواكب فعبدوا القمر والشمس والكواكب الرئيسة واعتبروا كوكب الزهرة نجمة الصباح " عشتار" وكان معبد الإله الشمس يقع في مدينة أور – التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام – وغيرها من المدن العراقية حيث كان هناك هيكل واحد على الأقل مخصص لعبادته في كل مدينة من المدن الرئيسة، وكان معبد عشتار في نينوى وهي آلهة الحب والخصب وهي " عناة " عند السومريين، وكان يخصص لهذه الآلهة الرئيسة حجرة داخلية صغيرة في مجمع الآلهة – تصور على شكل تماثيل –

1 – انظر: نعمه، حسن – ميثولوجيا واساطير الشعوب القديمة – درا الفكر اللبناني – بيروت – ط 1994 – ص 76.

2 – نفس المرجع – ص 78.

وتحدد مصائر البشر ويساعدها خمسون روحا عظيما يحددون مجتمعين القوى الروحية التي تعمل تحت الأرض وفوقها . [1]

وقد أشار القرآن الكريم إلى الآلهة التي كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدونها في الآيات التي ذكرت محاجة إبراهيم لقومه في إنكار الوهيتها وبينت الآيات أنهم كانوا يعبدون الأصنام وأشارت إلى عبادتهم للكواكب وللقمر والشمس فقال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، [2] وقد ذكر الإمام الشوكاني أن قول إبراهيم عليه السلام لما رأى كوكبا ولما رأى القمر ولما رأى الشمس: هذا ربي، إنما هو لإقامة الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل الزامهم، وإنما قال ذلك في سياق إثباته أن يكون مثل هذا ربا يعبد. [3]

---

1 – انظر– باردنر، جفري – المعتقدات الدينية لدى الشعوب– ترجمة د. امام عبد الفتاح – مجلة عالم المعرفة – الكويت – ط 1993 – العدد 173 – ص 15 – 16.

وانظر– سعفان، كامل – معتقدات اسيوية – دار الندى – القاهرة – ط 1 – 1999 م – ص 30

وانظر– الماجدي، خزعل – المعتقدات الآمورية – دار الشروق – الأردن – ط 1 – 2002 – ص 60

وانظر– سويلم، احمد– أشهر العقائد الدينية في العالم القديم– دار العالم العربي– القاهرة – ط 1 – 2010 – ص 59 – 65.

2 – سورة الانعام – الآيات 74 – 79

3 – انظر– الشوكاني – فتح القدير– ج 2 – ص 437.

وفي النظر للدراسات التي تحدثت عن الآلهة في منطقة سوريا القديمة ومنطقة كنعان سنجد أن السوريين القدماء بما فيهم الكنعانيين كانوا يعبدون عددا من الآلهة الرئيسة وتمثلت بعناصر الطبيعة الأربعة النار والتراب والهواء والماء، ويضاف اليها إله السماء وإله الأرض، ولكن الفكر الديني السوري والكنعاني تميز عن الفكر الديني العراقي بأمر مهم وهو عبادة الإله " إيل "، حيث اتخذه السوريون والكنعانيون إلها عظيما واعتبروه أب الآلهة والبشر وهو الإله الذي يستوي على كل شيء، [1] ورغم أنهم عبدوا قوى الطبيعة المخصبة بشكل خاص إلا أن الإله إيل كان أكثر آلهتهم تقديسا، فقد كان الشعب الكنعاني يؤمن بأن إيل هو الإله الأكبر، وهو رب الأرباب وأنه إله غير مشخص، وهو خالق السماء والأرض وجميع البشر وكانوا يعتقدون أنه إلها خاصا بهم لدرجة أنهم كانوا يطلقون على أنفسهم " شعب إيل ".[2]

وكانت الشعوب في منطقة كنعان وسوريا القديمة يعبدون ثلاثة آلهة متصلة باسم الإله إيل، الأول كان يدعى: "إيل سابان" وهو مرتبط بجبل سابان أو "صفون" وهو الروح أو القوة التي تعبر عن حضورها في الحرم المقدس الذي يعتبر النموذج الأرضي للمسكن السماوي. والثاني والثالث كانا يدعيان "إيل أب" لكن أحدهما يشير إلى أرواح الأسلاف والآباء والأخر يشير إلى أب البشر وخالقهم جميعا. [3]

وكانوا يصفون الإله إيل بأعلى الصفات وأسماها وكان إلها منزها عن النقائص ويوصف بالكمال المطلق وكانوا يسمونه أحيانا "إيل عيلون" أي الإله

---

1 - الماجدي، خزعل – المعتقدات الكنعانية – دار الشروق –ص 69.

2 - نفس المرجع – ص 244.

3 - السواح، فراس – موسوعة تاريخ الأديان– دار علاء الدين – دمشق – ط 2 – 2007 - ج 2 – ص 64

العالي أو إله السماوات، وإن كلمة " إيل " هي الاسم الذي كان يطلقه أهل هذه المنطقة على الله سبحانه وتعالى ومنه إسماعيل وجبرائيل وإسرافيل، فيذكر الإمام البغوي في سبب تسمية سيدنا إسماعيل بهذا الاسم قوله: " قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله فلما رزق سماه الله به. [1]

فهذه الكلمة تساوي كلمة (الله) في لسان الشعوب القديمة في منطقة سوريا القديمة، فقد كان في ذهن الإنسان القديم في سوريا الطبيعية أن الإله العالي أو السيد العالي هو سيد المخلوقات وملك السماء والأرض والمدبر للكون وهو لجلالة عظمته وسموه بقي متعاليا وبعيدا عن خلقه ومن هنا كان شعور الإنسان في هذه المنطقة يميل إلى الحاجة إلى قوة أو قوى أخرى تستمد سلطتها وقوتها من القوة العليا المطلقة وتدبر ظروف حياتهم المادية والروحية. [2]

ولكن كانت عبادة الكنعانيين للإله إيل لا تتصف بالتوحيد النقي وإنما بالتوحيد الشائب حيث كانوا يعبدون معه آلهة أخرى مستمدة من قوى الطبيعة والخصب لكنهم كانوا يعتقدون أن الإله إيل هو المسيطر عليها، ثم تلت مرحلة عبادتهم للإله إيل مرحلة عبادة الإله " بعل " حيث أشركوا بالإله إيل وعبدوا عددا من الآلهة أطلقوا على كل منها اسم بعل حيث ارتدوا إلى عبادة قوى الطبيعة والكواكب والنجوم فعبدوا الشمس والقمر وكوكب الزهرة وإله الرياح وآلهة الحرب والنار والشفاء والخصب والحب والولادة والجبل حتى أصبحت مظاهر الكون كلها بعلية وكل مدينة اتخذت بعلا أو عددا من البعول آلهة لها .[3]

---

1 – نفس المرجع – ج 2 – ص 65 – 66.

2 – كنعان، جورجي – الله هو القضية– بيسان للنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى 2001 – ص 99 – 101

3 – انظر – الماجدي، خزعل – المعتقدات الكنعانية – ص 70 – 73

فظهر عدد من الآلهة التي عبدها أهل هذه المنطقة وأشركوا بها بالله تعالى وكان منها (بعل) أو سيد مدينة أو بيئة معينة مثل بعل صور وبعل صيدون وبعل فغور وبعل طرسوس، ومنها آدون أي السيد ومنها ملقارت أي ملك قرية أو مدينة ومنها نبو المشرق واشمون السماء ويثع المخلص وعزيز أي الجبار وكرب أي المبارك ومنها داجون ويم وموت وهدد. [1]

والظاهر أن ردة الكنعانيين عن عبادة الإله إيل إلى عبادة البعول كانت بعد زمن إبراهيم عليه السلام بفترة طويلة بدليل ما ورد في القرآن الكريم عن عبادة هذا الإله في سياق الحديث عن النبي إلياس وهو أحد الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل قبيل فترة السبي البابلي وبعدها وتبع النبي حزقيال، وقد كان ينهى بني إسرائيل عن عبادة البعل الذي كان أهل منطقة كنعان وسوريا القديمة يعبدونه وهذه الفترة تلت فترة وجود إبراهيم عليه السلام بزمن طويل فقال تعالى: **(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ)** ،[2] وذكر الطبري في تفسيره هذه الآية أن بعل هو صنم كان لهم يقال له بَعْل، وبه سميت بعلبك. [3]

وهذا الأمر يدل على أن شعوب منطقة سوريا القديمة هم أقرب إلى الاستجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام لأنهم يعرفون الله تعالى ويقدسونه إلا أنهم

1 - كنعان، جورجي- الله هو القضية-ص 99 - 101، وانظر- السواح، فراس- موسوعة تاريخ الأديان -ج 2 - ص 64

2 - سورة الصافات - الآيات 123 - 125

3 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي - جامع البيان في تأويل آي القرآن - تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - دار هجر للنشر الجيزة - ط 1 - 2001 م - ج 21 - ص 97

يشركون بعبادته غيره، إما بسبب جهلهم أو بسبب بعد وطول فترة وجود الأنبياء بينهم، وليسوا كأهل العراق الذين رفضوا دعوة إبراهيم عليه السلام لأنهم لا يعرفون مفهوم الإله العالي أو عبدو الإله إيل أو الله سبحانه وتعالى فكانوا للكفر أقرب منهم للشرك فالمشرك يعرف الله تعالى إلا أنه يشرك بعبادته غيره، أما الكافر فهو لا يعرف الله تعالى أصلا وينكر وجوده، ولهذا تشير آيات القرآن الكريم إلى أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب والأصنام ويعتقدون أنها هي الآلهة ولم يكن مفهوم الإله العالي قد وصل إلى أذهانهم بعد لهذا لم تجد دعوة إبراهيم عليه السلام مجالا لها بينهم، إذ لا شيء مشترك بين دعوة إبراهيم وبين دينهم، بينما أهل سوريا القديمة هناك شيء مشترك بينهم وبين دعوة إبراهيم عليه السلام وهو عبادة الإله إيل أو الله سبحانه وتعالى، وتبقى فيهم علة الشرك الزائدة على عبادتهم لله تعالى والتي أصبح من مهمة ابراهيم عليه السلام أن يدعوهم لتركها ولهذا نجد التوراة طيلة حديثها عن ابراهيم عليه السلام تذكر الإله إيل وعلاقته بإبراهيم عليه السلام بل وتذكر أن ملك الكنعانيين كان كاهنا لله العلي فقد ورد في سفر التكوين : **(وَمَلْكِي صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ أَخْرَجَ خُبْزاً وَخَمْراً. وَكَانَ كَاهِناً لِلَّهِ الْعَلِيِّ. 19وَبَارَكَهُ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ 20وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ».)** [1]

وهذا النص يدل دلالة صريحة على أن ملك القدس التي هي شاليم كان كاهنا لله العلي وأنه بارك إبراهيم عليه السلام باسم الله العلي مالك السماوات والأرض وهذا يدل على أن هناك قاسم مشترك بين دعوة ابراهيم عليه السلام وبين المفاهيم الدينية لأهل منطقة سوريا القديمة بما فيها كنعان، ولهذا نجد أن

1 - سفر التكوين 14: 18

التوراة نفسها تشير إلى أن أهل منطقة كنعان استقبلوا إبراهيم عليه السلام ورحبوا به بل وأعطوه جزءا من أرضهم يرعى بها أغنامه والأنعام التي كانت معه في اتفاق كان بينهم بالقرب من بئر السبع ولم يرفضوا وجوده أو يحاربوا دعوته لأنهم وجدوا أن ما يدعو إليه قريب مما يعتقدون به أصلا، وليس كأهل العراق الذين حاربوه ورفضوا دعوته حتى أن والده نفسه رفضها ولم يؤمن بها، وعزموا على قتله ووضعوه في نار عظيمه إلا أن الله تعالى أنجاه منها وأنجاه من مكرهم وتخطيطهم لقتله بأن يسر له الهجرة إلى الأرض المباركة التي يقع فيها المسجدين وأهل المنطقة فيهما يشتركون مع إبراهيم في بعض المعتقدات الأساسية لدعوته.

ولهذا هاجر إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان قبل أرض مكة، حيث كانت أرض مكة مهجورة من الناس ولن يؤوي إليها الناس للعيش والسكنى إلا بسبب ذرية إبراهيم عليه السلام التي وضعها إبراهيم فيها متمثلة بإسماعيل عليه السلام وبنيه من بعده بأمر من الله تعالى، ولتكون أرض كنعان الأرض التي تتكون فيها دعوة إبراهيم لدين الله تعالى وبين شعوبها لتنتقل بعد ذلك إلى أرض مكة لموافقتهم لإبراهيم في أصل دينه واعتقاده بعبادة الله تعالى واحتياجهم لتصحيح معتقدهم بالله تعالى ونفي الشرك الحال بهم وفي عبادتهم له تعالى، لا لأجل امتلاكها وإعادة حقه فيها وتوريثها لبنيه من بعده كما نصت عليه التوراة وإنما لتوريث دين الله تعالى بين أهل المنطقة كلهم ولتصبح نقطة عبور إلى أرض مكة بتأسيس دين الله تعالى فيها.

المسألة الثانية: علاقة إبراهيم عليه السلام بالمسجد الأقصى وإعادة بناء ذريته له

لقد تحدث القرآن الكريم عن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة في البيت الحرام بصراحة ووضوح تام، ولكن القرآن الكريم لم يصرح

ببناء إبراهيم عليه السلام للمسجد الأقصى، لكني من خلال دراسة بعض الأحاديث النبوية التي تحدثت عن بناء المسجد الأقصى ومن خلال الأحداث التاريخية التي رافقت هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة ومن خلال نصوص سفر التكوين في التوراة وجدت أن هناك علاقة قوية بين إبراهيم عليه السلام وذريته بالمسجد الأقصى وليس فقط بالكعبة المشرفة والبيت الحرام وهذه العلاقة تعد سببا رئيسا ومقصدا أساسيا في هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان قبل أرض مكة وقد وجدت عددا من الأدلة التي تثبت وجود هذه العلاقة .

لم يكن بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس منفصلا عن بناء الكعبة المشرفة في أرض مكة، فقد ورد في حديث ابي ذر رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: (قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال المسجد الحرام قال قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه). [1]

ويفهم من خلال هذا الحديث النبوي أن المقصود بحادثة بناء المسجد الأقصى إما أنها كانت في زمن آدم عليه السلام وبنيه وإما أنها كانت في زمن إبراهيم عليه السلام وبنيه، وأرى أن المقصود بهذا الحديث ما كان في زمن آدم عليه السلام وبنيه فيما يتفق مع دلالة السؤال الذي سأله أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم، وبدليل أن أولاد أدم عليه السلام وذريته عاشوا فترة طويلة من الزمن على دين الإسلام والوحدانية وعبادة الله تعالى قبل أن يدخل الشرك فيهم، ولكننا نجد في دراسة تاريخ المسجد الأقصى أنه هدم أو هدمت أجزاء منه عدة مرات

---

1 – البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي – صحيح البخاري – تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – ط 1 – 1422 هـ – الحديث رقم 3366، وانظر: الجزري، ابن الأثير – جامع الأصول في أحاديث الرسول – تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة الحلواني– ط 1 – 1972 – ج 9 – ص 274. أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

وتم تجديد بنائه مرات متعددة، وإن هدمه وبناءه كان مرتبط بالحالة الدينية لأهل منطقة بيت المقدس وما حولها بما فيهم بني إسرائيل بعد دخولهم اليها.

وقد سمي بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فأول بيتين وضعا للناس لعبادة الله تعالى هما المسجد الحرام والمسجد الأقصى وقد بنيا قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، وقد عبد الله تعالى فيهما فترة طويلة قبل حياة إبراهيم عليه السلام إلى أن دخل الشرك في أولاد آدم عليه السلام وذريتهم فتركت عبادة الله تعالى فيهما.

وأرى – والله أعلم – أن من أهم المقاصد الأساسية لهجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة –بيت المقدس وأرض مكة– هو إعادة بناء أول بيتين وضعا في الأرض لعبادة الله تعالى وتطهيرهما وتطهير الشعوب المحيطة بهما من الوثنية وعبادة الاصنام.

وبما أن آيات القرآن الكريم تشير إلى أن أرض مكة كانت مهجورة من السكان في زمن إبراهيم عليه السلام فإن أرض كنعان وأرض بيت المقدس كانت مليئة بالشعوب والقبائل التي تقطنها وكانت عامرة بكل مقومات الحياة، وبما أن الكنعانيون كانوا يعبدون الإله " إيل " الذي هو الله تعالى ويقدسونه ويعظمونه ويبنون له الهياكل والمعابد مع أنهم كانوا يشركون به آلهة أخرى فإن احتمال وجود المسجد الأقصى أو بعضا من آثاره قائمة في زمن إبراهيم عليه السلام احتمال قوي.

وذلك للأدلة الآتية: أولا: أن بناء المسجد الأقصى الأول وقع قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، ثانيا: أن نصوص التوراة تشير إلى ارتباط إبراهيم عليه السلام والأحداث التي حدثت في هجرته وفي حياته عموما بالإله إيل وإن إبراهيم عليه السلام في هجرته إلى أرض كنعان وتجوله فيها أنه كان يدعو الله تعالى في بيت إيل، فورد في سفر التكوين قول الكتبة: **(وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ:**

«سأُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ». فَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. 8وَانْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلٍ حَيْثُ نَصَبَ خِيَامَهُ مَا بَيْنَ بَيْتِ إِيلٍ غَرْباً وَعَايَ شَرْقاً وَشَيَّدَ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِهِ. 9ثُمَّ تَابَعَ أَبْرَامُ ارْتِحَالَهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ.). [1] وفي حديثهم عن عودة إبراهيم من أرض مصر قولهم: **(وَغَادَرَ أَبْرَامُ مِصْرَ وَتَوَجَّهَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَلُوطٌ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، نَحْوَ مِنْطَقَةِ النَّقَبِ 2وَكَانَ أَبْرَامُ يَمْلِكُ ثَرْوَةً طَائِلَةً مِنَ الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. 3وَظَلَّ يَنْتَقِلُ فِي مِنْطَقَةِ النَّقَبِ مُتَّجِهاً إِلَى بَيْتِ إِيلٍ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَصَبَ فِيهِ خِيَامَهُ أَوَّلاً بَيْنَ بَيْتِ إِيلٍ وَعَايَ. 4حَيْثُ كَانَ قَدْ شَيَّدَ الْمَذْبَحَ أَوَّلاً، وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ.).** [2]

وبيت إيل تعني " بيت الله "، بينما تشير الدراسات التي تناولت هذه التسمية وتحدثت عنها إلى أن بيت إيل مدينة تقع شمال مدينة أورشاليم " القدس " بمسافة قريبة جدا منها، على الطريق المؤدية إلى مدينة نابلس، وكانت تسمى قديما " لوز " [3]، وتشير أيضا إلى أنها مدينة كنعانية قديمة وكانت مدينة مهمة حيث كان يقيم فيها ملوك الكنعانيين، [4] وأرجح أن هذه التسمية لا تشير إلى مدينة بعينها وإنما تشير إلى بيت للعبادة بعينه، وحتى لو كانت تشير إلى المدينة المحددة شمال مدينة القدس فلماذا يطلق عليها الكنعانيون هذا الاسم لولا وجود بيت لعبادة الله تعالى فيها، وبالنظر إلى قرب المسافة بين هذه المدينة ومدينة القدس فإنني أظن أنه وقع تحريف على هذا الاسم بدلا من أن يطلق

1 – سفر التكوين 12: 5– 8

2 – سفر التكوين 13: 1

3 – انظر: مارش، وليم–وآخرون– السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم شرح سفر التكوين – مجمع الكنائس في الشرق الأدنى – بيروت – ط 1973 – ص 78

4 – انظر: عبد النور، منيس – دائرة المعارف الكتابية – دار الثقافة – ط 2003 م – مدينة بيت إيل

على بيت الله في مكان قريب من القدس أو في القدس نفسها تم إطلاقه على مدينة شمال مدينة القدس لينفي شراح التوراة أي صلة أو علاقة ببيت لله تعالى في زمن إبراهيم عليه السلام وقبل وجود هيكلهم المزعوم الذي يعتقدون أن بناءه تم في زمن سليمان عليه السلام بفترة بعيدة عن زمن إبراهيم عليه السلام تقدر بألف عام، وهذا التحريف يشبه تماما التحريف الذي وقع على صحراء فاران التي وضع فيها إبراهيم ابنه إسماعيل وزوجته هاجر حيث يشير عدد من المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود إلى أنها تعني أرض مكة تحديدا،[1] بينما يشير سفر التكوين وشراحه إلى أنها منطقة تقع في صحراء النقب وتطل على صحراء سيناء في مصر لهذا زادوا في تحريف هذه الحقيقة وزعموا أن إسماعيل تزوج امرأة من مصر وليس من بلاد العرب .

وهذا الأمر يدل على أنه في زمن إبراهيم عليه السلام كان هناك بيت لله تعالى بالقرب من مدينة القدس أو فيها تحديدا، والدليل على ذلك أن سفر التكوين يذكر أن إبراهيم كان يدعو الله في بيت إيل فهل يعقل أن يدعو إبراهيم الله تعالى في معبد ليس لله تعالى حتى ولو كان أهله على الشرك والوثنية؟

ويدل على ذلك أيضا اهتمام إبراهيم عليه السلام بالتوجه إليه عندما دخل أرض كنعان مهاجرا من حاران وعندما دخلها عائدا من أرض مصر كما يشير سفر التكوين ليدعو الله تعالى فيه، فأرجح أن المقصود ببيت إيل هو المسجد الأقصى أو أقرب ما يكون إلى موقعه أو آثاره، ولا توجد أية إشارة في التوراة إلى بيت آخر كان يعبد فيه الإله إيل غير هذا الموقع القريب جدا من مدينة أورشاليم " القدس " ، وبما أن بناء المسجد الأقصى كان سابقا على عهد إبراهيم عليه السلام وأن شعوب منطقة كنعان كانوا يعبدون الإله إيل الذي هو الله تعالى

1 – انظر: المغربي، السموأل بن يحي – – افحام اليهود – تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله الشرقاوي – مكتبة الزهراء – جامعة القاهرة – درا الجيل بيروت – ط 1983 – ص 61.

واتخذوا له معبدا اطلقوا عليه اسم بيت إيل أو بيت الله، وكان ملوك الكنعانيين يقيمون في منطقته، فهذه أدلة تدل على أن المقصود ببيت الله هو المسجد الأقصى المبارك، ولا يمكن ذكر تسمية هذا البيت باسمه الإسلامي "المسجد الأقصى" في التوراة الحالية أو بعد تحريفها لما يتضمن اعترافا بالوجود الإسلامي في عهد إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان، وأن الدين الذي كان يدعو إليه الإسلام وليس اليهودية وأن صلته متحققة بالمسلمين وليست باليهود.

أما الدليل الثالث على ارتباط المسجد الأقصى بذرية إبراهيم عليه السلام هو الرؤيا التي رآها يعقوب عليه السلام عندما كان عائدا من أرض حاران ودخل إلى أرض كنعان بعد حادثة المخاصمة التي وقعت بينه وبين أخيه عيسو حيث نص سفر التكوين على قول الكتبة: (**أَمَّا يَعْقُوبُ فَتَوَجَّهَ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ نَحْوَ حَارَانَ، 11فَصَادَفَ مَوْضِعاً قَضَى فِيهِ لَيْلَتَهُ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، فَأَخَذَ بَعْضَ حِجَارَةِ الْمَوْضِعِ وَتَوَسَّدَهَا وَبَاتَ هُنَاكَ. 12وَرَأَى حُلْماً شَاهَدَ فِيهِ سُلَّماً قَائِمَةً عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَمَلاَئِكَةُ اللهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهَا، 13وَالرَّبُّ نَفْسُهُ وَاقِفٌ فَوْقَهَا يَقُولُ: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحقَ. إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَرْقُدُ عَلَيْهَا الآنَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ، 14الَّتِي سَتَكُونُ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْباً وَشَرْقاً، وَشِمَالاً وَجَنُوباً، وَتَتَبَارَكُ بِكَ وَبِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ. 15هَا أَنَا مَعَكَ وَأَرْعَاكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ. وَلَنْ أَتْرُكَكَ إِلَى أَنْ أَفِيَ بِكُلِّ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ».16ثُمَّ أَفَاقَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقّاً إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!» 17وَاعْتَرَاهُ خَوْفٌ وَقَالَ: «مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ! مَا هَذَا سِوَى بَيْتِ اللهِ وَهَذَا هُوَ بَابُ السَّمَاءِ». 18ثُمَّ بَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ، وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي تَوَسَّدَهُ وَنَصَبَهُ عَمُوداً وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتاً،**

19وَدَعَا الْمَكَانَ «بَيْتَ إِيلَ» (وَمَعْنَاهُ: بَيْتُ اللهِ) وَكَانَ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً «لُوزَ»). [1]

ويعلق صاحب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل على هذا النص فيما أورده في الاختلاف الذي وقع في أول من بنى المسجد الأقصى فيورده في الاستدلال على بناء يعقوب عليه السلام له فقال: " ... ومنهم من قال أول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام روى أن أباه إسحاق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح من بنات خاله فلما توجه إلى خاله لينكح ابنته أدركه الليل في بعض الطريق فبات متوسداً حجراً فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء والملائكة تعرج فيه وتنزل فأوحى الله إليه إني أنا الله لا إله إلا أنا وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ثم أنا معك أحفظك حتى أدرك إلى هذا المكان فأجعله بيتاً تعبدني فيه فهو بيت المقدس، وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد أن بناء المسجد الأقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة على أن المراد به بناء يعقوب عليه السلام لمسجد بيت المقدس بعد بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة الشريفة والله أعلم ".[2]

فهذه الرؤيا تدل على علاقة ذرية إبراهيم عليه السلام بالمسجد الأقصى، فقد تكون آثار المسجد كانت موجودة زمن إبراهيم عليه السلام فبناه يعقوب بعده أو أنه كان مبنيا فجدد يعقوب عليه السلام بناءه.

أما الدليل الرابع فهو تجديد بناء المسجد الأقصى على يدي سليمان عليه السلام الذي هو من ذرية إبراهيم عليه السلام من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحق عليهم السلام فقد تواردت الآثار والأدلة التاريخية المتعددة على إثبات

1 –سفر التكوين 28: 10

2 – العليمي، مجير الدين الحنبلي – الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل – ج 1 – ص 29

واقعة هذا البناء في عهد ملك سليمان عليه السلام على بني إسرائيل في أرض فلسطين فقد ورد في حلية الأولياء : " حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَقْطِينِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سُوَيْدٍ، ثنا أَبِي، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، عَنْ رَافِعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى لِدَاودَ: ابْنِ لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ، فَبَنَى دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتًا لِنَفْسِهِ قَبْلَ الْبَيْتِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا دَاودُ بَنَيْتَ بَيْتَكَ قَبْلَ بَيْتِي؟ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، هَكَذَا قُلْتَ فِيمَا قَضَيْتَ: مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا تَمَّ السُّورُ سَقَطَ ثُلُثَاهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتًا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، وَلِمَ؟ قَالَ: لِمَا جَرَتْ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَوَلَيْسَ ذَاكَ فِي هَوَاكَ وَمَحَبَّتِكَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادِي، وَأَنَا أَرْحَمُهُمْ، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ لَا تَحْزَنَ، فَإِنِّي سَأَقْضِي بِنَاءَهُ عَلَى يَدَيِ ابْنِكَ سُلَيْمَانَ، فَلَمَّا مَاتَ دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بُنْيَانِهِ، فَلَمَّا تَمَّ قَرَّبَ الْقَرَابِينَ، وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ، فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: قَدْ أَرَى سُرُورَكَ بِبُنْيَانِكَ بَيْتِي، فَسَلْنِي أُعْطِيكَ، قَالَ: أَسْأَلُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَكَ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا ثِنْتَيْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ) [1]

وقد أشار العسيري في موجز التاريخ الإسلامي إلى أن سليمان عليه السلام هو من بنى المسجد الأقصى بعد أن شيده يعقوب عليه السلام أو أبوه إسحق عليهما السلام فقال: " ومن أعماله – أي سليمان عليه السلام – تجديد بناء

1 – الاصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران – حلية الاولياء – دار السعادة – مصر – 1974م – ج 5 – 246

المسجد الأقصى حيث شيده يعقوب أو أبوه إسحاق بعد بناء الكعبة بأربعين عاما"[1]

فهذه الأدلة تدل على عمق صلة إبراهيم عليه السلام وذريته وارتباط هجرته إلى أرض كنعان ببناء المسجد الأقصى حتى لو لم نجد دليلا على بناء إبراهيم عليه السلام له أو إعادة بنائه فإن ذريته قامت بهذه المهمة كما قام ابنه إسماعيل عليه السلام ببناء الكعبة المشرفة، ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لإبراهيم عليه السلام بعد هجرته إلى الأرض المباركة زوجتين وابنين إحداهما بقيت في أرض كنعان وهي سارة وابنها إسحق الذي سيأتي من ذريته من يعيد بناء المسجد الأقصى ويجدد عبادة الله تعالى وحده فيه، والثانية هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام التي نقلها إبراهيم عليه السلام إلى أرض مكة لبناء الكعبة المشرفة وتجديد عبادة الله تعالى فيها وهذا المقصد يعد من أهم المقاصد لهجرة إبراهيم إلى الأرض المباركة .

وقد أشار سفر التكوين إلى ما يؤيد هذا الأمر منها وفاة ابراهيم عليه السلام في أرض كنعان ودفن ابنيه إسماعيل واسحق له فيها بعد أن كانت ذكرت أن إسماعيل قد تم طرده وأمه إلى صحراء فاران وأشارت إلى أن إبراهيم أعطاه عطايا مع إخوته ثم صرفه عن وجه إسحق من أرض كنعان، لكنها تعود لتؤكد وجود إسماعيل في حادثة دفن أبيه إبراهيم مع أخيه إسحق مما يدل على وحدة الهدف بينهما وعلى التواصل الذي كان قائما بينهما وعدم القطيعة ويدل على

---

1 – العسيري، احمد معمور – موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر– (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض) ط 1– 1996 م – ج 1 – ص 28، وانظر – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل – مجير الدين الحنبلي العليمي ج 2 – ص 11، وانظر – تاريخ بيت المقدس – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي دار الثقافة الدينية – ج 1 ص 1

التناقض في تأسيسها للعداء الذي أشارت إليه من قبل بين إسماعيل وإخوته وأنه سيحيى معاديا لجميع إخوته فقد ورد في سفر التكوين: **(7وَعَاشَ إِبْرَاهِيمُ مِئَةً وَخَمْساً وَسَبْعِينَ سَنَةً. 8ثُمَّ مَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ وَانْضَمَّ إِلَى أَسْلاَفِهِ، 9فَدَفَنَهُ ابْنَاهُ إِسْحقُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ، فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ مُقَابِلَ مَمْرَا، 10وَهُوَ الْحَقْلُ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْحِثِّيِّينَ، وَفِيهِ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ. 11وَبَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بَارَكَ اللهُ إِسْحقَ ابْنَهُ، وَأَقَامَ إِسْحقُ عِنْدَ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي)** [1]

وهذا يدل على أن كل واحد منهما عليهما السلام كان مكلفا بمهمة دينية مرتبطة بدعوة أبيهما إبراهيم عليه السلام، وهنا نفهم المعنى الحقيقي للبركة التي ستحل على الأمم بسبب إبراهيم عليه السلام وبينه واتباعه لهم عندما قال له الله تعالى حسب نص سفر التكوين –: **(وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ بَرَكَةً. 3وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ)** [2] فالمعنى الصحيح لهذه البركة هي: أن تحل البركة على الأمم التي بعثه الله إليها بسبب دعوته لهم واستجابتهم لهذه الدعوة فيتباركون ببركة إبراهيم عليه السلام باتباع الدين الصحيح وإعادة عبادة الله تعالى في المسجدين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وليس كما فسرتها التوراة بعدد كبير من نصوصها وبالذات في سفر التكوين بأنها تعني الاختيار الإلهي لشعب مخصوص يكون لهم إلها خاصا ويكونون له شعبا خاصا ومختارا وتقتضي تبعية جميع الأمم لهم، وميراث أرض كنعان.

---

1 – سفر التكوين 25: 7.

2 – سفر التكوين 12: 1

الخاتمة وأهم النتائج

نستخلص من خلال هذا البحث عدد من النتائج وهي:

أولا: أن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة شكلت الحدث الأساسي الذي من خلاله ومن خلال الأحداث التي تبعته تم التأسيس لكبرى العقائد اليهودية من خلال التوراة كعقيدة الشعب المختار وعقيدة الإله الخاص للشعب الخاص وعقيدة الأرض الموعودة.

ثانيا: أن هجرة إبراهيم عليه السلام وما تبعتها من أحداث تمت صياغتها في النص التوراتي لتؤسس مقاصدا دينية وعقدية متمركزة حول الشعب الإسرائيلي وأحقيته بالأرض المباركة التي هاجر إليها إبراهيم عليه السلام، وتتغلغل فيها صفة الخصوصية والعدائية المطلقة للأمم الأخرى ولنسل إسماعيل وبنيه بشكل خاص.

ثالثا: تم استغلال هجرة إبراهيم عليه السلام من قبل كتبة التوراة لتقديم إبراهيم عليه السلام كصاحب أرض وملكية عاد إلى أرضه وملكيته، وليس كنبي مرسل صاحب دعوة دينية، وكمؤسس لنسل خاص لإله خاص في أرض خاصة، وليس كنبي تم التأسيس من خلاله لعدد الأنبياء الذين يقومون بمهمة دعوة الأمم لعبادة الله تعالى وحده.

رابعا: تجلت علامات التحريف القصدي في طريقة صياغة كتبة التوراة لهجرة إبراهيم عليه السلام والأحداث المتعلقة بها بحيث أغرقت في الخصوصية الدينية وغيرت إطار الأحداث ومجرياتها للوصول إلى المقاصد المرجوة من خلال هذا التغيير والتحريف.

خامسا: خالف القرآن الكريم التوراة بحيث قدم إبراهيم عليه السلام على اعتبار وظيفته الأساسية كنبي يدعو لدين الله تعالى وعبادته وحده، وصاحب

رسالة سماوية حمل أمانتها عدد من الأنبياء من بعده من أبنائه وهي رسالة عالمية أممية ليست خاصة بأمة بعينها أو بشعب خاص.

سادسا: هناك قدر من التوافق بين دعوة إبراهيم عليه السلام والدين الذي كان يتبعه أهل منطقة كنعان يتمثل بعابدتهم لله تعالى، لكن مهمة إبراهيم عليه السلام تمثلت بإبعاد مظاهر الشرك من حياتهم الدينية لهذا كانوا أقرب لقبول دعوته من أهل العراق.

سابعا: هناك علاقة واضحة بين هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين وبين إعادة بناء المسجد الأقصى وإقامة عبادة الله تعالى فيه وهو الأمر الذي حاول كتبة التوراة إخفاءه إلا أن هناك بعض الأدلة غير المباشرة التي تدل عليه في النص التوراتي وما يؤيدها من أدلة تاريخية.

ثامنا: تفرد القرآن الكريم بذكر حادثة بناء إبراهيم للكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، وصلة هذا الحدث المهم بالدين الإسلامي وتأسيسه في شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي عمل كتبة التوراة على إخفاءه تماما لنفي أي صلة للإسلام وأسسه الدينة بإبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده، وعملوا على حصر مفهوم الأرض المباركة بأرض فلسطين وحدها مع تأكيد عدد كبير من العلماء على شموليتها لأرض فلسطين وأرض مكة.

تاسعا: أن من أهم مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المباركة التي تمثلت بأرض كنعان وأرض مكة هو إعادة بناء المسجدين فيهما وهما المسجد الحرام والكعبة المشرفة فيه، والمسجد الأقصى المبارك، وإعادة شعوب المنطقة التي حولهما لعبادة الله تعالى فيهما.

المصادر والمراجع:

1. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد – زاد المسير في علم التفسير – دار الكتاب العربي – بيروت ط 1 – 1422 هـ.
2. أبو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف بن علي اثير الدين– البحر المحيط في التفسير – تحقيق – صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – ط 1420 هـ.
3. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – دار السعادة – القاهرة – ط 1974م
4. باردنر، جفري – المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة د. امام عبد الفتاح – مجلة عالم المعرفة – الكويت – ط 1993 – العدد 173
5. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي – صحيح البخاري – تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – ط 1 – 1422 هـ.
6. البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد – معالم التنزيل – دار السلام للنشر – الرياض – ط 1 – 1416 هـ.
7. الترجمة العربية المشتركة – الاخبار السارة – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
8. ترجمة الملك جيمس – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
9. الترجمة اليسوعية الكاثوليكية – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
10. ترجمة فأنديك وسميث – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
11. جارودي، روجيه – الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – دار الغد العربي– القاهرة – ط 7 – 1996 م
12. الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني – جامع الأصول في أحاديث الرسول – تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – ط 1 – 1972
13. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد – تاريخ بيت المقدس – تحقيق محمد عزب – مكتبة الثقافة الدينية – ب. ط – ب. د
14. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي – الملقب بفخر الدين الرازي – مفاتيح الغيب – دار احياء التراث العربي – بيروت – ط 3 – 1420 هـ.
15. الزغبي، تركي – اليهود وأرض كنعان – دار رسلان – دمشق – ط 2012
16. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط 1 – 2000 م.
17. سعفان، كامل – معتقدات اسيوية – دار الندى – القاهرة – ط 1 – 1999 م
18. السواح، فراس – موسوعة تاريخ الأديان– دار علاء الدين – دمشق – ط 2 – 2007

19. سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل –الأردن – ط 1 – 2003م
20. سويلم، احمد – أشهر العقائد الدينية في العالم القديم – دار العالم العربي – القاهرة – ط 1 – 2010
21. الشهراني، سعد بن محمد – أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي– اليهودية نموذجا – طباعة الفطاني – ط1 – 2005م.
22. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير– دار ابن كثير – دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت – ط 1 – 1414 هـ.
23. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي – تفسير القران العظيم – نسخة المكتبة الشاملة – بترقيم المكتبة الشاملة – ب، ط – ب، د.
24. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي – جامع البيان في تأويل آي القرآن – تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر للنشر الجيزة – ط 1 – 2001 م.
25. عبد النور، منيس – دائرة المعارف الكتابية – دار الثقافة – ط 2003 م.
26. العسيري، أحمد معمور – موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر – فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – ط 1 – 1996
27. العقاد، عباس – موسوعة عباس العقاد – كتاب إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي – بيروت – ط 1 – 1970
28. العليمي، مجير الدين الحنبلي – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل – تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة – مكتبة دنديس – عمان – ط 1999م
29. القرطبي، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين – الجامع لأحكام القرآن – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط 2 – 1964 م.
30. كتاب الحياة – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
31. الكتاب الشريف – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
32. كنعان، جورجي – الله هو القضية – بيسان للنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى 2001
33. الماجدي، خزعل – المعتقدات الآمورية – دار الشروق – الأردن – ط 1 – 2002
34. مارش، وليم – السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم شرح سفر التكوين– مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973
35. الماوردي – علي بن محمد بن حبيب البصري – النكت والعيون – تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ب. د.

36. مبارك، صفوت حامد – قراءة في العهد القديم – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ط 1– 1987 م

37. المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – درا الشروق – القاهرة – ط 1 – 1999 م.

38. معدي، الحسيني – القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم– دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة – ط 1 – 2007م

39. المغربي، السموأل بن يحيى – افحام اليهود – تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله الشرقاوي – مكتبة الزهراء – جامعة القاهرة – درا الجيل – بيروت – ط 1983

40. المقدسي، المطهر بن طاهر – البدء والتاريخ – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – مصر – ب. ط.

41. ملكاوي، محمد احمد محمد عبد القادر – الحنفاء العرب، تاريخهم وعقائدهم وعلاقاتهم بالمجتمع العربي قبل الإسلام – دار الأمل – إربد – الأردن – ط 1 – 2011 م.

42. نعمه، حسن– ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة — درا الفكر اللبناني – بيروت – ط 1994

43. هليفي، يهودا بن شموئيل– الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمة: ليلى إبراهيم أبو المجد – مراجعة: حسن حنفي، احمد هويدي – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط 1 – 2014.